Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

تأليف

العلامة المجاهد الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء التاسع

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

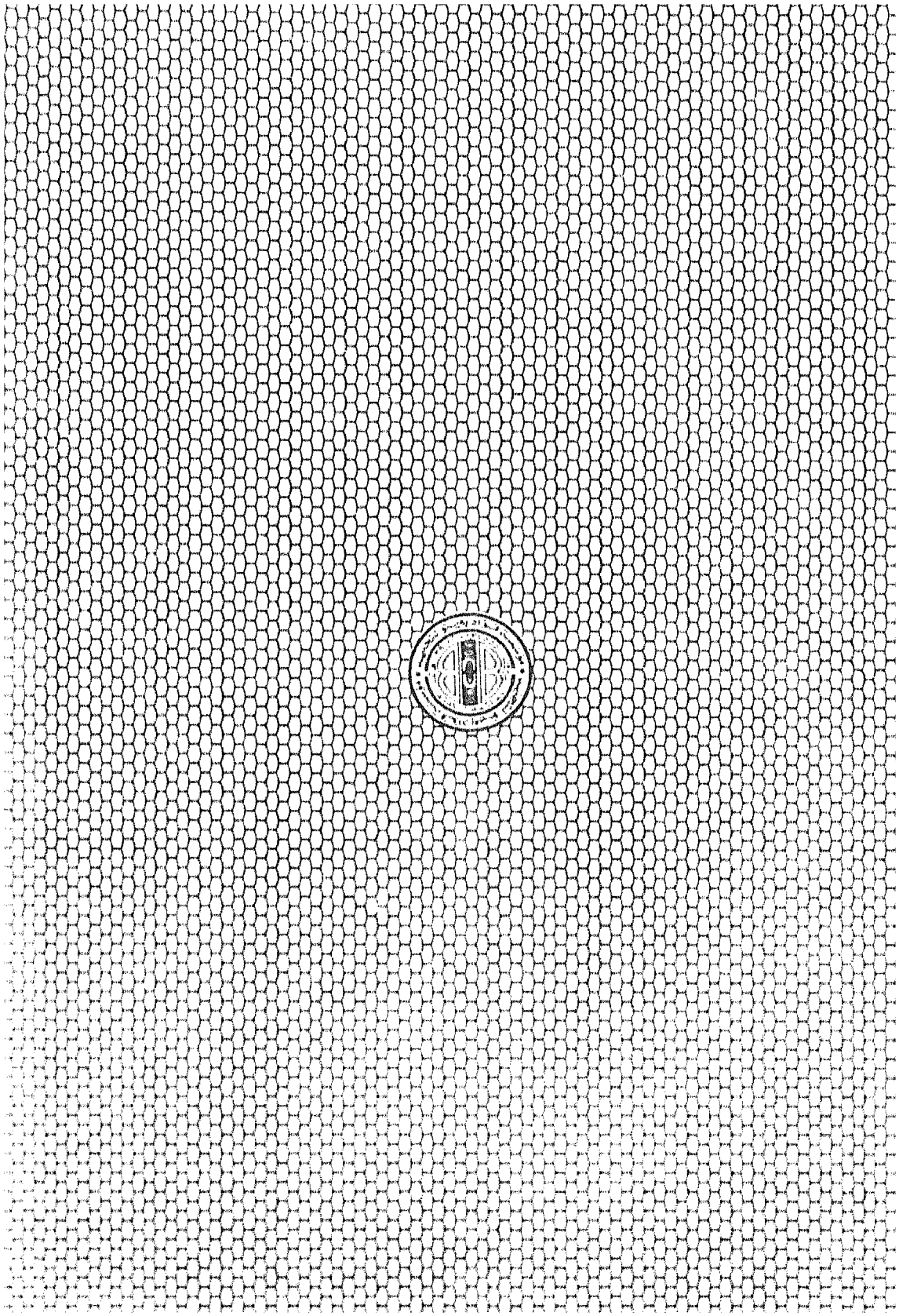

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

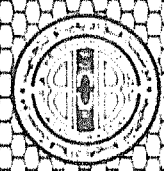

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنّةً وأدباً
ويتضمن تراجم أئمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء التاسع

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى المميّزة

كافة حقوق الكتاب محفوظة لورثة المؤلف
وكافة حقوق الصف والإخراج محفوظة ومسجلة للناشر
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

وليس لأيّ جهة أو مؤسسة
في أي دولة كانت الحق باعادة طبع
هذا الكتاب وتلاحق قانونياً من قبل الأنترپول الدولي

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

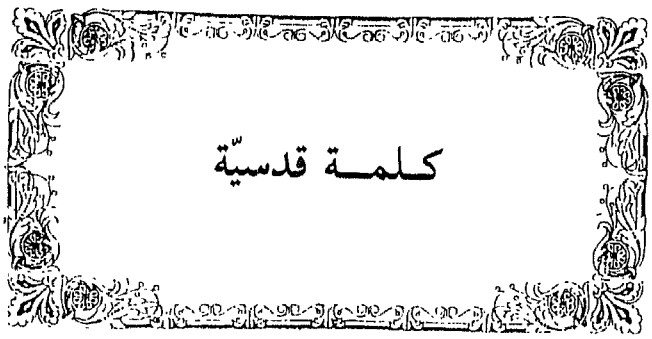

كلمة قدسيّة

تفضَّل بها سيّدنا الحجَّة آية الله السيِّد حسين الموسوي الحمّامي النجفي دام ظلّه الوارف ، وقد شفّعها بخطاب يبدي فيه إعجابه بكتاب «الغدير» ويعرب عن نواياه الحسنة في تقدير آثارالأُمَّة ومآثرها ، وإليك نصُّ الخطاب مشفوعاً بالشكر المتواصل لسماحة السيِّد .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

العلاّمة الحجَّة الأميني دام عزّه وتأييده .

بعد السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أُرسل كتابي إليكم مشفوعاً بكلمتي عن موسوعتكم «الغدير» وكنت قبل هذا من زمن ليس بالقريب أُحاول القيام بغير هذا فقط تجاه مقامك السامي ومنزلتك الرفيعة ، تقديراً لخدمتك المشكورة ولكن : المرء رهين المقدور . فما استطعت أن أمدَّ باعي بما حاولت ، وها أنا أبعث رسالتي إليك وملؤها الإعتذار لتقع منك موقع حسن القبول ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ونرجو من الله عزَّ وجلَّ أن يمدَّ عنايته بكم ويرعاكم بألطافه لا زلتم مؤيّدين .

الأحقر حسين الموسوي الحمّامي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودونك الكلمة نفسها :

وبـه ثقتـي

الحمـدلله كما هـو أهلٌ للحمـد ، والصّلاة والسّـلام على أشرف خلقـه وسيِّد رسله محمّـد ، وعلى آله أئمَّـة الهدى ومصـابيـح الـدجى ، واللعنـة الـدائمـة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

لا يخفى على من أجال النظر وأمعن التفكيـر في عالم التـأليف والتصنيف وما يلاقيه ذوو العلم من المجهود على اختلاف مواضيع ما يؤلّف ، وسعة معرفة المؤلِّف ونطاق إحاطته بما أُوتي من علم وفضل (يجد المنصف من نفسه) أنَّ كتاب «الغدير» هو الجدير بالذكر والإطراء ، والتقريض والثناء ، وأنَّه المفرد في بابه ، والوحيـد في موضوعـه ، فكم من حقائق أُسدل عليها ستار الشبه ، وسترتهـا يد الأهـواء ، وأخفتها كفّ طالما سترت الحقّ طيّ أناملها ، وزوته في بطون كتبها ، فراح الحقُّ رهين أهواء وسلطة ، فجـاء «الغديـر» من بعد حين يميط عنهـا غيـاهب الـظلم ، ويكشف دون وجههـا حجاب التـدجيل ، فـأسفر الحقُّ عن محضـه ، وأصحـر النـور لـذي عينين كـالشمس في رائعة النهـار ، فللّه درُّ كتاب لا يـأتيـه البـاطـل من بين يـديـه ولا من خلفـه ، وأقول والحقُّ يُقـال : إنَّ من سبر هـذا السفـر الميمـون والكتـاب الجليـل وأحاط بما أُودع فيه من غزارة العلم ، ومتـانة التعبيـر ، وحسن الاسلوب ، ورصانـة البيـان ، وسعة التنقيب ، وطـول الباع ، وكثـرة الإطّلاع يكـاد يذهب إلى مـا قـالـه

البعض في حقّ الكتاب : إنَّه عملٌ ومجهودٌ لا تقوم بأعباء ثقله إلاّ أُمَّة وجماعة قد نهض به عالمٌ وحده . والله يؤتي الحكمة مَن يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً . ولا أُسهب في القول إن وصفته بهذا فحسب ، وأجدني غير موفٍ لحقِّ المقام ، غير أنَّ الظروف لا تسع للإعراب عن كلّ ما يُراد ، وإنَّ مؤلِّفنا الثقة فقيه المؤرِّخين ومؤرِّخ الفقهاء العلامة «الأميني» دام عزُّه ومجده وتأييده وتسديده هو من أولئك الذين وقفوا حياتهم الثمينة وأرخصوا أوقاتهم الغالية لتشييد الدين وإعلاء كلمة الحقِّ والجهاد في سبيل الشريعة المقدَّسة والصِّراط المستقيم والمنهج المهيع ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا**﴾ .

ونحن في الوقت الذي ندعو للمؤلِّف الأمين بالتأييد والتسديد نطلب من الله تعالى شأنه من فضله وعنايته بهذه الامّة الإسلاميّة المحمديّة والفرقة الناجية العلويّة أن يكثر فيها أمثاله من الأعلام وحملة العلم والأقلام ورجالات الفضيلة ، وأن يتقبَّل هذا المجهود العظيم منه بعين لطفه وأن يرعاه بالقبول ، وأن يجمع به شمل الامّة وشتات الفرقة .

ومن أراد الحقَّ وطلب سبيل الرشاد واستضاء بنور الهداية فلديه كتاب «الغدير» كتاب ينطق بالحقِّ وهم لا يُظلمون . وفَّق الله الجميع لمراضيه إنَّه وليُّ التوفيق ، والسَّلام على جميع المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

١٣٧٠/٦/٦ **الأحقر حسين الموسوي الحمّامي**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

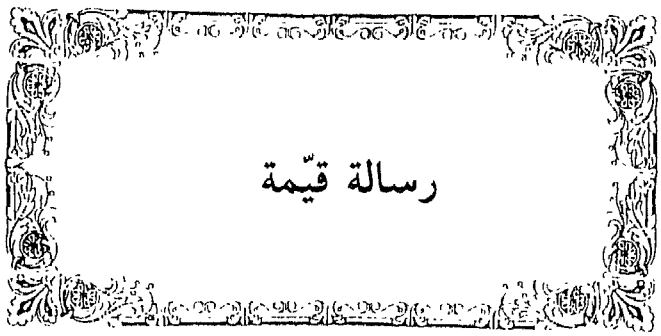

رسالة قيّمة

أتتنا من العلويِّ الشريف العلاّمة السيِّد حسين الموسوي الهندي نزيل «خرنابات» مؤلِّف «الإسلام مبدأ وعقيدة» أقدِّم له جزيل شكري مُعجباً بتأليفه القيِّم .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضيلة البحّاثة المدقّق والثبت المتتبِّع حجَّة الإسلام الاستاذ الكبير شيخنا الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم .

أبعث إليكم رسالة بعجز مرسلها ناطقة ، وبعفوكم وقبولكم عارفة ، وبفيض فضلكم مغمورة ، دمتم للمؤمنين ذخراً وللمسلمين فخراً ، فأريج المسك يعبق من نفحات همّتكم الفيّاضة بالعمل النافع ، وديم الفضل تغدق من سماء مجدكم الشامخ بالعلم الوفير ، وضياء بدر عزيمتكم يسطع من غرر أعمالكم الخالدة ، وينير في جنبات العالم بأنوار تعاليمكم ، ونجوم مؤلَّفاتكم المتألِّقة في آفاق الدنيا المدلهمَّة ، هي ممّا جاد به يراعكم وأفاض به فكركم ، كللتم تاج العصر الحاضر بما أتحفتموه من درر بيانكم وجواهر كلامكم لا سيّما في «الغدير» الذي أروى الغليل وأشفى العليل ، فإنَّه آيات تنزل من وحي الضمير الصّادق على الصدر الرحيب ، وبيّنات من الهدى والفرقان ، مقتبسات من أحاديث النبيِّ الأمين ، ومستقاة من نهج بلاغة أمير المؤمنين ، وإنَّه آيات تصكُّ المسامع بالحجج وتأخذ

بالمسلمين إلى الصراط السويِّ ، وهي بنفسها حصونٌ منيعة لسور الإيمان ، وأسلاك شائكة على حمى الولاية تمنع عنها العدوان وتردُّ الأيدي الأثيمة ، فكم للمسلمين من ثغر سدَّدتموه بمدادكم وحرستموه بعيون مؤلَّفاتكم . .

فللغدير فصول من الثناء وللمحاسبات التاريخيَّة فيه أبوابٌ من المدح سجّلها لكم التاريخ بمداد البقاء على ألواح الخلود ، وللردود بنودٌ من الإطراء تتَّصل بالأجيال اتِّصال معقب لما يكتب أو يقال ، وإنّه لعمر الحقِّ موسوعةٌ جامعةٌ كشمس ذات إشعاع متموّج قرَّت فيها عيون ، وأرمصت منها أُخرى ، أو هي كفواكه ذوات طعوم متنوِّعة وروائح شتّى ممّا لذَّ وطاب ، وإنّها لآية الإبداع في العمل ، ومعجزة الزمن الحاضر التي رفعت كلمة المستحيل من قاموس العاملين ، والتي لا يحلم بها مسلمٌ عاملٌ ولا يفكر فيها مؤمن صفر الكفِّ من وضر الدنيا والمساعدين ، فأقدمتم والعزيمة تحفز همّتكم والتصميم يوكلكم ، فكانت كأحسن ما تكون موسوعة اشتركت في مواضيعها جمعيَّة جزَّأتها حسب الإختصاص والكفاءات ، وبرزت تبعث في القلوب بهجة وروعة ، وترسل إلى الأرواح متعاً وغذاءً ، وتوصل النفوس من كشف الغيوب إلى عالم الشهادة والسّعادة ، فحيّا الله جدَّكم الذي لم يخر أمام مشاكل ملتوية ، ومرحاً لسعيكم المشكور الذي لم يثنه شيءٌ من مهمّات الامور ، فأمدَّ الله إلى قوَّتكم قوَّة ، وأعانكم منه على عملكم الدائب المستمرِّ ، وأخذ بناصركم إنّه سميعٌ مجيب ، هذه تذكرةٌ وذكرى ، تذكرةٌ للعاملين وذكرى لمقامكم الرفيع وقوَّة جهادكم لمناصرة الدين .

فالحقُّ على المؤمنين أن يفتخروا برجلهم الفذِّ ، وواحدهم الذي غالب آحاداً ممّن دوَّخوا التاريخ بالصيت وملأوا الكتب بالشهرة ، والواجب عليهم أن يقرنوا الشكر له بالدعاء في دوام البقاء ، ويأخذوا بهدى آل البيت النبويِّ الطاهر من حامل علومهم المناضل المجاهد العالم العامل ، فهو ممّن منحه الله ملكة الإيحاء إلى القلوب النقيَّة وأمكنه من إفهام الطبقات الراقية من أهل الثقافات العالية بما يزيل به عنهم درن صدورهم ويزيح عنهم وساوس شكوكهم بالحقائق الراهنة والصراحة المحبّبة .

فيا أيُّها المولى الجليل ! تحيَّة المتفاني بالإخلاص إليكم ، وسلام المغمور

بفيض فضلكم ، وثناء المتربِّع على مائدة علمكم التي دعوتم إليها القريب والبعيد .

إنِّي أُجلُّ مقامكم السامي عن المدح والثناء ، لأنِّي عيٌّ وحصورٌ فلا أفي ببعض الواجب ، ولكنِّي سايرت القلم الملهم من يراعكم لما رأيته يحنو لعظمتكم ويهمس من هيبتكم ، فليكن الرضا منكم شفيعاً بالقبول ، والصدر منكم رحيباً للتقصير أو القصور ، ولكم الفضل أولاً ويعود إليكم آخراً كما كان بولائكم متَّصلاً .

حسين الموسوي الهندي

«خرنابات» ٢٨ محرم الحرام ١٣٧١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

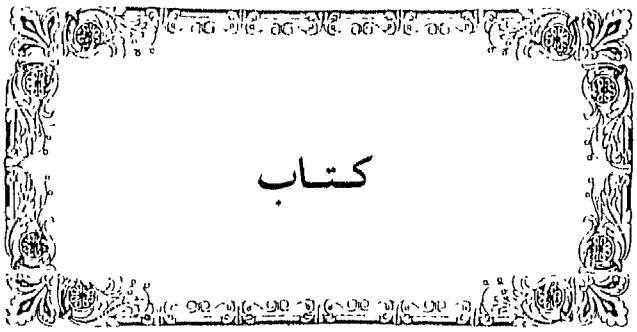

أتانا من شيخنا العَلَم الأوحد حجَّة الإسلام مولانا الشيخ حيدر قلي الشهير بسردار الكابلي قطين كرمانشاه صاحب التآليف الضخمة الفخمة القيّمة حيّاه الله وبيّاه ذخراً للملأ العلمي ، وشكراً له وألف شكر ، وإليك نصّه :

يتشرَّف بتقبيل أنامل العلم العلّامة البحّاثة الفهّامة حجَّة الإسلام والمسلمين عماد المؤمنين مولانا المبرَّأ من كلِّ شين الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إنِّي أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلّا هو ، وأُصلّي وأُسلّم على سيِّد رسله وأشرف أنبيائه ، وعلى وصيِّه بالصِّدق وخليفته بالحقِّ ، الذي نصبه يوم الغدير علماً لعباده ومناراً في بلاده ، وعلى بنيه الأئمَّة الهداة والأوصياء الولاة من بعده ، لئلّا يكون للنّاس على الله حجَّة بعد الرسل وأوصيائهم ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى مَن حيَّ عن بيِّنة صلّى الله عليهم وسلّم .

أمّا بعد : فقد أتاني رسولٌ من عندك بغالية فيها حياة القلوب وشفاء النفوس ، ألا وهي كتاب «الغدير» فرأيته بحراً متلاطماً تيّاره ، متراكماً زخّاره ، لولا أنّه سفينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشحونة بجواهر الحقائق العوالي ولآلي الأسرار الغوالي ، غير أنّه شمسٌ أشرقت من أُفق الغريِّ فأضاءت الدنيا بنورها الأبهج ، وأماطت غياهب الشبهات بضيائها الأبلج ، بيد أنّه دائرة المعارف الإلٰهيّة وسفط من العلوم الربّانيّة ، لولا أنّه روضةٌ من رياض القدس فيها ما تلذُّ به العين وتشتهيه النفس ، فترى طيورها شادية على أفنانها ، وحمامها مغرِّدة على أغصانها بأنواع الألحان المطربة ، فتجذب القلوب الصافية والنفوس الزاكية إلى مقامات الصفاء ومنازل الإنس ، غرستها يد الولاية الربّانيّة العظمى والخلافة الإلٰهيّة الكبرى ، فيها زرافاتٌ من الأولياء وكبار الأمّة ، وثلّةٌ من العلماء الأبرار والفقهاء الأخيار ، وصنوفٌ من العرفاء والحكماء ، وصفوفٌ من الأُمراء والشعراء وعباقرة الأدب واقفين على باب الحضرة العلويّة على مشرّفها الصّلاة والسّلام ، والعلاّمة «الأميني» يُنزلهم في منازلهم المعلومة بأمر مولاه صلوات الله وسلامه عليه على حسب درجاتهم ، يتذاكرون الأحاديث النبويَّة على ضفَّة الغدير ، وينشدون الأشعار الغديريَّة ، فيطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، يُسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ثمَّ يصلهم بمقامات الصِّلة ويُخبرهم على حسب طبقاتهم وحسن طوبَّاتهم وصفاء نيّاتهم بما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ، فهنيئاً لك أيُّها الأمينيّ ولهم ، وأذاقنا الله تعالى بفضله رشفة أو رشحة من ذلك الغدير العذب إنّه غفورٌ رحيم ، وآخر دعوانا أن الحمدلله ربِّ العالمين ، وصلّى الله على محمَّد وآله .

مخلصكم في الوداد

حيدر قلي الكابلي عفي عنه

إنّا للّه وإنّا إليه راجعون

فجعنا بفقد هذا العلم الشامخ ، فقيد العلم والدين ، صبيحة الثلاثاء رابع جمادى الاولى سنة ١٣٧٢ هـ . وفد إلى ربّه الكريم بعد إقامة فريضة الصبح قدس الله سرَّه ، ويوافيك تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

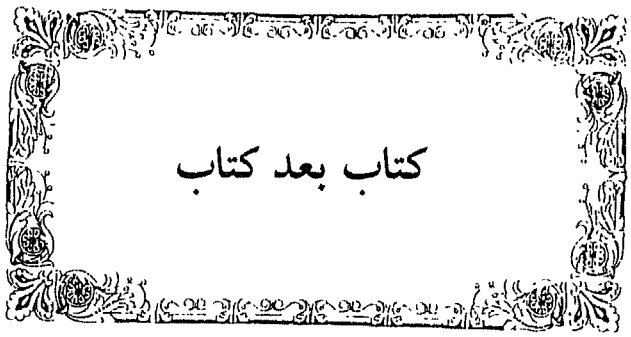

أتيانا من الخطيب المفوَّه الاستاذ محمَّد نجيب زهر الدين العاملي مدرِّس العلوم الدينيّة في الكلّية العامليَّة ببيروت ، بالغ بهما في الثناء على كتابنا «الغدير» وممّا جاء في كتابه الأوَّل قوله :

فإنّي من أشدّ المعجبين بفضلكم ، المشيدين بآثاركم ومآثركم، وأبحاثكم الطريفة المفيدة، وفوائدكم التي ظهرت واضحة جليّة، وبرزت ساطعةً قويّة في كتابكم الجليل الخالد ، ومؤلَّفكم العظيم النّادر : «الغدير» السفر الذي بزَّ الأسفار ، والذي كشفتم به النقاب عن وجه الحقِّ المقنّع ، وجلوتم به الحقيقة سافرة رقراقة ، فحيَّاكم الله وجزاكم عن صاحب يوم الغدير خير الجزاء على هذا المجهود الجبّار الذي سوف يبقى مدى الأجيال ذكراً مذكوراً ، وعملاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً . إلى أن قال :

رأيت من الواجب عليَّ أن أرد منهل مولانا العلاّمة «الأميني» هذا المنهل العذب ، وأروي ظمأ نفسي وعقلي من غديره الصافي ، ثمّ أعود مِن هذا الورود وذلك الريّ بمجموعة نفيسة وتحفة غالية من دُرر عالمنا «الأميني» ولآليه فأنثرها على صهوات المنابر ومواقف التدريس على عقول الجماهير وأفكار الناشئة حِكماً نافعة ، وحججاً قاطعة ، وشعلةً وهّاجةً ، وقبساً منيراً .

ومن فصول كتابه الثاني المؤرّخ بـ ٨ شوّال سنة ١٣٧٠ قوله :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و«الغـدير» بعـدُ سفر ضخم من أسفار الحقيقـة والخلود ، لأنّـه كتـاب حقّ ، وصحيفـة صدق ، وديـوان للعلم والحكمة والأدب والتـاريخ ، ومنهـل عذب لـروّاد الحديث ودرايته وفنونه ، ومصـدرٌ لتتبّع الحـوادث الفذّة واستقـرائها ، ومنبـعٌ فيّاضٌ بالأدلّة الساطعة ، والبـراهين القاطعـة الدالّـة على إمامـة صاحب البيعـة يوم الغـدير سلام الله عليه ، والناطقة بفضله وفضل الأئمّة من بنيه عليه وعليهم أطيب التحيّـات وأزكى الصَّلوات .

وما كان «الغدير» ليَخرج للنّاس بهـذه الحلة القشيبة والثـوب النقيِّ الفضفاض لـولا بيان «الأميني» النـاصع ، وعلمـه الناجـع ، واسلوبه الـرائع ، وأدبـه الممتع ، ودليله المقنع ، وبلاغته الواضحة ، وحجَّته اللائحة ، وديباجته المشـرقة ، وبـراعته المعرقة ، ومنـطقه السـديد ، وبحثـه المفيد ، وتعبيـره الرائق ، وتجـرُّده الصَّادق ، وجهده الكبير ، وعناؤه الكثير !! .

فشكـراً للعـلاّمـة «الأميني» وألف شكـر . . وثنـاء على جهـده وجهـاده وألف ثنـاء . . ومرحى لآثـاره العلميَّة النـافعة ، وجـزاه الله عن الإسلام ونبيِّـه وعتـرة نبيِّـه أحسن الجزاء .

وليأذن لي علاّمتنا «الأميني» أن أُسجِّل لديه بهـذه المناسبـة شكراً خـاصّاً لمن شرَّفني بالتعرُّف على شخصيَّة مؤلِّف «الغدير» الفـذَّة ، وإيمانـه الراسـخ ، وعقيدتـه الصافية ، وأخلاقه السمحة ، ومقاصده النبيلة ، ونصرته للحقِّ وأهله بروحه وماله ، ولسانه ويده ، ونفسه ونفيسه ، وعلمه وعمله ، نسأل الله له التوفيق والتأييـد والفلاح والنجاح .

وليعلم مـولانا «الأميني» أنِّي عـاملٌ على الإستقـاء من آثاره لأنشـرهـا ، ومِن آدابه لأبثّها ، ومن معـارفه لأذيعهـا في المدرسـة تارة ، وفي المجتمـع طوراً ، ومِن على منبر الخطابة تارةً أُخرى . الخ .

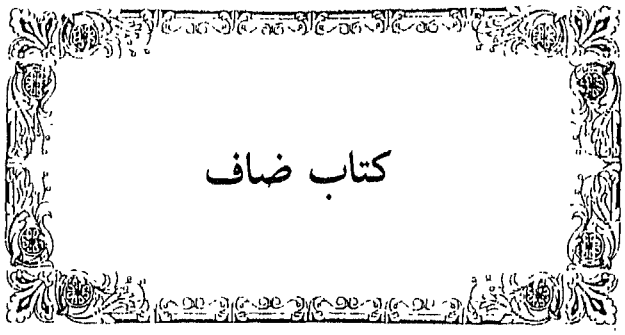

جاءنا من الاستاذ القدير سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي من ناحية الكميت ، يحتوي على معان فخمة يطري بها كتاب «الغدير» ويشكر جهودنا في تأليفه ، ويذكر موقف الملأ الدينيِّ تجاهه ، ومن جملة قوله :

فقد تصفَّحنا سفركم الغدير بأجزائه الثمانية فوجدناه سفراً جليلاً ضمَّ بين طيّاته آيات الحقّ الواضحة والبراهين الساطعة التي إن دلَّت فإنَّما تدلّ على مدى حبّكم لآل البيت وتفانيكم في سبيل إظهار الحقِّ ومحق الباطل .

سيِّدي ! لقد أظهرتم ـ ولست بمبالغ ـ للملأ الإسلاميِّ خاصّة سفراً عجز عن مثله السابقون وقد يعجز عنه الاحقون ، فما سعيكم طيلة حقب كثيرة مضت وما اجتيازكم عقبات جمَّة صادفتموها أثناء التنقيب والتفتيش عن البراهين والحجج القويَّة التي تثبت بدورها غايتكم التي تريدون إثباتها وإظهارها للملأ ما هو إلاَّ أن تظهروا ذلك السفر بمظهره اللائق به ، وحقّاً فقد جاء كما أنشدكم .

«الغدير» يا سيِّدي هو ذلك الكتاب الزاخر باللآلىء الوضَّاءة التي تكشف عن الحقائق المطمورة ، وظهور تلك الحقائق بدوره يذهب كلَّ باطل ظاهر ، فكم ضال اهتدى بنور ذلك السفر الجليل وآب إليه عقله ، وكم من متحمّس إلى إظهار لواء

الحقِّ إلاَّ وقد رفع رأسه عالياً بفضل هذا الكتاب الجليل . الخ .

سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي

ناحية الكميت

١٠ رمضان سنة ١٣٧٠ هـ

١٥ حزيران سنة ١٩٥١ م

* * *

وهناك عدّة كتب في تقريظ «الغدير» أتتنا من بعض الأعلام والأساتـذة الأفذاذ أرجأنا نشرها إلى آونة أُخرى ، نقدّم للجميع شكرنا الجزيل المتواصل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء التاسع

يتضمن تراجم جمع من أعاظم الصَحابة ، رجال الدعوة الصالحة . والبحث عمّا لفّقته يد الافتعال من التاريخ المزوّر . وما ألّفته سماسرة الجهل والدجل من الكتب . والاعراب عن صحيح ما في قصّة قتيل الصَحابة «عثمان» واخفاق ما هنالك من جلبة ولغط ، أو مكاء وتصدية .

والله ولىّ التوفيق

سُبحانَكَ ! ما كانَ لنا أنْ نَتَّخِذ مِنْ دُونِكَ مِنْ أولياءَ ، فالحَقُّ والحقَّ أقولُ ، حقيقٌ عليَّ أنْ لا أقولَ عَلى الله إلاّ الحقَّ ، مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي الله بِغيرِ عِلمٍ وَلا هدىً ولا كِتابٍ مُنير ، وَلدينا كِتابٌ يَنطقُ بِالحقِّ ، كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَربيّاً ، إذهبْ بِكتابي هذا فألقِهِ إلَيهِمْ ثُمَّ تولَّ عَنهُمْ ، وقُلْ : جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقاً ، ولقدْ وصَّلنا لهُمُ القولَ لعلّهم يَتذكّرونْ ، وَلِيعلمَ الذينَ أُوتوا العِلمَ أنَّه الحقُّ مِنْ ربِّك فَيُؤمِنوا بهِ ، فَتُخبِتَ لهُ قُلوبهُمْ ، إنَّما قَولُ المُؤمِنينَ إذا دُعُوا إلى الله وَرَسُولِهِ ليحكم بينَهُمْ أنْ يقُولوا : سمعنا وَأطعنا ، الذينَ يستمِعُونَ القولَ فيتَّبعونَ أحسَنهُ أُولئكَ الذينَ هَداهُمُ الله وأُولئِكَ هُم أُولوا الألبابِ .

يا قوم ! لا أسألكمْ عَليهِ مالاً إنْ أجري إلاّ على الله ، لا أسألكُمْ عَليهِ أجراً إلاّ المودَّة في القُربى ، ومَا عَلينا إلاّ البَلاغ المُبينُ ، إنّما وَليُّكُم الله ورَسولُه وَالذينَ آمَنُوا الذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وَهُم راكِعونَ ، فَالحَمدُ لله وَسلامٌ عَلى المُرسلينَ .

الأميني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤١
الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً

أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣٦ قال : حدَّثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما : إنَّ عبدالله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال : مَن غيَّر غيَّر الله ما به . ومن بدَّل أسخط الله عليه ، وما أرى صاحبكم إلاّ وقد غيَّر وبدَّل ، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولّى الوليد ؟ وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو :

إنَّ أصدق القول كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمَّد ﷺ ، وشرَّ الامور محدثاتها ، وكلّ محدَث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار[١] .

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال : إنّه يعيبك ويطعن عليك ، فكتب إليه عثمان يأْمُره بإشخاصه فاجتمع الناس فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيءٌ تكرهه ، فقال : إنَّ له عليَّ حقّ الطاعة ولا أُحبُّ أن أكون أوَّل من فتح باب الفتن . وفي لفظ أبي عمر : إنّها ستكون امور وفتن لا أُحبّ أن أكون أوَّل من فتحها . فردَّ الناس وخرج إليه[٢] .

---

(١) هذه جملة من كلمة ابن مسعود وقد أخرجها برمتها أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص١٣٨ وهي كلمة قيمة فيها فوائد جمة .

(٢) الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال البلاذري : وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن فقالوا له : جزيت خيراً فلقد علّمتَ جاهلنا ، وثبّت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقّهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل ، ثمَّ ودَّعوه وانصرفوا ، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلمّا رآه قال : ألا إنّه قد قدمت عليكم دُويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال إبن مسعود : لست كذلك ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان . ونادت عائشة : أي عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ ثمَّ أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبدالله بن زمعة الأرض ، ويقال : بل احتمله «يحموم» غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقَّ ضلعه ، فقال عليٌّ : يا عثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة ؟ فقال : ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجّهت زُبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له إبن مسعود : إنَّ دم عثمان حلال ، فقال عليٌّ : أحلت عن زبيد على غير ثقة .

وفي لفظ الواقدي : إنَّ ابن مسعود لمَّا استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلمَّا علم عثمان بدخوله قال : يا أيُّها الناس! إنَّهُ قد طرقكم الليلة دُويبةٌ ، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله يوم بدر ، وصاحبه يوم بيعة الرضوان ، وصاحبه يوم الخندق ، وصاحبه يوم حنين ، قال : وصاحت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ؟ فقال عثمان : اسكتي . ثمَّ قال لعبدالله بن زمعة : أخرجه إخراجاً عنيفاً ، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال إبن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

قال البلاذري : وقام عليٌّ بأمر إبن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برىء الغزو فمنعه من ذلك وقال له مروان : إنَّ ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أفتريد أن يُفسد عليك الشام ؟ فلم يبرح المدينة حتّى توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين ، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال قومٌ : إنّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص ، ولمّا مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربّي . قال : ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : أفلا آمر لك بعطائك[1] ؟ قال : منعتنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لولدك ، قال : رزقهم على الله . قال : إستغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي ، وأوصى أن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم فلمّا علم غضب ، وقال : سبقتموني به ؟ فقال له عمّار بن ياسر : إنّه أوصى أن لا تصلّي عليه . فقال ابن الزبير[2] :

لأعرفنّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وفي لفظ ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٦٣ : جاءه عثمان في مرضه عائداً فقال له : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربّي . قال: ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لي به. فقال: يكون لبناتك من بعدك ، فقال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إنّي أمرت بناتي أن يقرأن كلّ ليلة سورة الواقعة وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَن قرأ الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقةٌ أبداً .

وقال البلاذري : كان الزبير وصيّ ابن مسعود في ماله وولده ، وهو كلّم عثمان في عطائه بعد وفاته حتّى أخرجه لولده ، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر ، وقومٌ يزعمون أنّ عمّاراً كان وصيّه ووصيّة الزبير أثبت .

وأخرج البلاذري من طريق أبي موسى القروي بإسناده : انّه دخل عثمان على إبن مسعود في مرضه فاستغفر كلّ واحد منهما لصاحبه ، فلمّا انصرف عثمان قال بعض من حضر : إنّ دمه لحلال . فقال إبن مسعود : ما يسرُّني أنّني سددت إليه سهماً يخطئه وأنّ لي مثل أُحد ذهباً .

---

(١) قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٦٣ : كان قد تركه سنتين .

(٢) كذا والصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ : فتمثل الزبير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال الحاكم وأبو عمر وابن كثير : أوصى إبن مسعود إلى الزبير بن العوام فيقال : إنَّه هو الذي صلّى عليه ودفنه بالبقيع ليلاً بإيصائه بذلك إليه ولم يعلم عثمان بدفنه ، ثمَّ عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيل : بل صلى عليه عثمان ، وقيل : عمّار[1] .

وفي رواية توجد في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ : لمّا حضره الموت قال : مَن يتقبّل منّي وصيَّة اوصيه بها على ما فيها ؟ فسكت القوم وعرفوا الذي يريد فأعادها فقال عمّار : أنا أقبلها ، فقال ابن مسعود : أن لا يصلّي عليَّ عثمان . قال : ذلك لك ، فيقال : إنَّه لمّا دفن جاء عثمان منكراً لذلك فقال له قائلٌ : إنَّ عمّاراً وليُّ الأمر . فقال لعمار : ما حملك على أن لم تؤذني ؟ فقال : عهد إليَّ أن لا اؤذنك . إلخ . وذكر كلَّ ما رويناه عن البلاذري مع زيادة ، فراجع .

وفي لفظ اليعقوبي : إعتلَّ إبن مسعود فأتاه عثمان يعوده فقال له : ما كلام بلغني عنك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي إنَّك أمرت بي فوطىء جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي . قال : فإنِّي اقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فعل بك . قال : ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء . قال : فهذا عطاؤك فخذه ، قال : منعتنيه وأنا محتاجٌ إليه . وتعطينيه وأنا غنيٌّ عنه ، لا حاجة لي به . فانصرف فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتّى توفّي .

[تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٧] .

وأخرج محمَّد بن إسحاق عن محمّد بن كعب القرظي : إنَّ عثمان ضرب إبن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر .

[شرح إبن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٧] .

وفي تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨ : حبس (عثمان) عن عبد الله بن مسعود وأبي ذر عطاءهما وأخرج أبا ذر إلى الربذة وكان بها إلى أن مات . وأوصى (عبدالله) إلى الزبير وأوصاه أن يصلّي عليه ولا يستأذن عثمان لئلاّ يصلّي عليه ، فلمّا دفن وصل

---

(١) المستدرك ج ٣ ص ٣١٣ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عثمان ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين . وأجاب بأنّ عثمان كان مجتهداً ولم يكن من قصده حرمانه ، إمّا التأخير إلى غاية أدباً ، وإمّا مع حصول تلك الغاية أو دونها وصل به ورثته ولعلّه كان أنفع له .

وفي السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ من جملة ما انتُقم به على عثمان : أنّه حبس عبدالله بن مسعود وهجره ، وحبس عطاء أُبيٍّ بن كعب ، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لمّا شكاه معاوية ، وضرب عمّار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنّك منافق . الخ .

قال الأميني : لعلّك لا تستكنه هذه الجرأة ولا تبلغ مداها حتّى تعلم أنّ ابن مسعود مَن هو ، فهنالك تؤمن بأنّ ما فُعل به حوبٌ كبير لا يبرّر مَن ارتكب به أيّ عذر معقول فضلاً عن التافهات .

١ ـ أخرج مسلم وابن ماجة من طريق سعد بن أبي وقاص قال نزل قوله تعالى : ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما مِن حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين**﴾[1] في ستة نفر منهم عبدالله بن مسعود .

راجع تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٨ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣١٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٠٠ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٥ ، تفسير إبن جزي ج ٢ ص ١٠ ، تفسير الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

٢ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٠٨ ط ليدن من طريق عبدالله بن مسعود نزول قوله تعالى : ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم**﴾[2] في ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم .

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٢ .

وذكر ابن كثير والخازن في تفسيرهما انّ ابن مسعود ممّن نزلت فيهم الآية .

٣ ـ ذكر الشربيني والخازن نزول قوله تعالى : ﴿**أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة**﴾ . في إبن مسعود وعمّار وسلمان . يأتي تفصيله بُعيد هذا في ترجمة عمّار .

٤ ـ عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : عبدالله يوم القيامة في الميزان أثقل من أُحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لهما (يعني ساقي ابن مسعود) أثقل في الميزان من أُحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لساقا عبدالله يوم القيامة أشدُّ وأعظم من أُحد وحراء .

راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٧ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٧٠ ، مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٨٩ ، وقال : أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أُمّ موسى وهي ثقة ، ورواه من طريق البزّار والطبراني فقال : رجالهما رجال الصحيح . كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ج ٧ ص ٥٥ نقلاً عن الطبراني والضياء وابن خزيمة وصحّحه .

٥ ـ عن علقمة وعمر في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرَّه أن يقرأ القرآن غضّاً . أو : رطباً ، كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن امِّ عبد .

أخرجه أبو عبيد في فضائله ، أحمد ، الترمذي ، النسائي ، البخاري في تاريخه ، إبن أبي خزيمة ، إبن أبي داود ، إبن الأنباري ، عبد الرزاق ، إبن حبان ، الدارقطني ، إبن عساكر ، أبو نعيم ، الضياء المقدسي ، البزّار ، الطبراني ، أبو يعلى ، وغيرهم .

راجع سنن إبن ماجة ج ١ ص ٦٣ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٨ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١

ص ١٥٦ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٨٧ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨١ .

٦ ـ عن أبي الدرداء مرفوعاً في حديث : رضيت لأُمَّتي ما رضي الله لها وابن أُمِّ عبد ، وسخطت لأُمَّتي ما سخط الله لها وابن أُم عبد .

أخرجه البزار والطبراني ورجال البزّار ثقات كما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٠ ، ورواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ويوجد في كنز العمّال ج ٦ ص ١٨١ وج ٧ ص ٥٦ .

٧ ـ عن عبدالله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي[1] حتّى أنهاك . قال إبن حجر : أخرجه أصحاب الصحاح .

مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٨ ، سنن إبن ماجة ج ١ ص ٦٣ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ .

٨ ـ أخرج الترمذي من طريق عبدالله في حديث قال : قال رسول الله ﷺ : تمسّكوا بعهد إبن أُم عبد .

وفي لفظ أحمد : تمسّكوا بعهد عمّار ، وما حدَّثكم إبن مسعود فصدِّقوه .

راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٥ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٦٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، كنز العمّال ج ٧ ص ٥٥ .

٩ ـ سُئل عليٌّ (أمير المؤمنين) عن إبن مسعود قال : علم القرآن وعلم السنّة ثمَّ انتهى وكفى به علماً .

---

(١) كذا في جميع المصادر والسواد بالكسر : السرار . يُقال : ساودت الرجل أي سارَرْتُه . وحسبه ناشر حلية الأولياء غلطاً فجعله في المتن «سراري» وقال في التعليق : في الأصلين : سوادي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٢٩ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣١٨ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٧ .

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣١٥ من طريق حبة العرني قال : إنَّ ناساً أتوا عليّاً فأثنوا على عبدالله بن مسعود فقال : أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل : من قرأ القرآن وأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، فقيهٌ في الدين ، عالمٌ بالسنّة .

١١ ـ أخرج الترمذي بإسناد رجاله ثقاتٌ من طريق حذيفة بن اليمان : إنَّ أشبه الناس هدياً ودلاًّ وسمتاً بمحمَّد ﷺ عبدالله .

وفي لفظ البخاري : ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاًّ برسول الله ﷺ من إبن أُم عبد ، وزاد الترمذي : ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ إبن أُم عبد أقربهم إلى الله زلفى . وفي لفظ أبي نعيم : إنّه من أقربهم وسيلة يوم القيامة. وفي لفظ أبي عمر : سمع حذيفة يحلف بالله ما أعلم أحداً أشبه دلاًّ وهدياً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبدالله بن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد ﷺ أنَّه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة .

وفي لفظ علقمة : كان يشبّه بالنبيِّ في هديه ودلّه وسمته .

راجع صحيح البخاري كتاب المناقب . مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٩ ، المستدرك ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣٢٠ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، مصابيح السنَّة ج ٢ ص ٢٨٣ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٦٢ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٧ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، كنز العمّال ج ٧ ص ٥٥ .

١٢ ـ أخرج الشيخان والترمذي عن أبي موسى قال : قدمتُ أنا وأخي من اليمن وما نرى ابن مسعود إلاّ أنَّه رجل من أهل بيت النبيِّ ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أُمِّه على النبيِّ ﷺ .

راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣١٤ ، مصابيح السنَّة ج ٢ ص ٢٨٤ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ نقلاً عن الشيخين والترمذي ، تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ١٦٢ ، مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٨٧ ، الإصابة ج ٨ ص ٣٦٩ قال : عند البخاري في التاريخ بسند صحيح .

١٣ ـ أخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٠٣ من طريق عمرو بن العاصي قال : مات رسول الله ﷺ وهو يحبُّ عبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٠ بلفظ : مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنه . حكاه عن أحمد والطبراني فقال . رجال أحمد رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن أبي العاص الثقفي كما في كنز العمّال ج ٧ ص ٥٦ .

١٤ ـ أخرج البخاري من طريق عبدالله بن مسعود قال : أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإنَّ زيد بن ثابت لصبيٌّ من الصبيان . وفي لفظ : أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت وله ذؤابة يلعب مع الغلمان . وفي لفظ : ما ينازعني فيها أحد .

حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٥ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٨ وصحَّحه كنز العمّال ج ٧ ص ٥٦ نقلاً عن إبن أبي داود .

١٥ ـ أخرج البغوي من طريق تميم بن حرام[1] قال : جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبّ إليَّ أن أكون في صلاحه من إبن مسعود ، الإصابة لإبن حجر ج ٢ ص ٣٧٠ .

وأخرجه البخاري في تاريخه ج ١ قسم ٢ ص ١٥٢ ولفظه : أدركت أبي بكر وعمر وأصحاب محمَّد عليهم السلام فما رأيت أحداً . الخ .

١٦ ـ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة : كان عبدالله صاحب سِواد رسول الله ﷺ يعني سرّه .

وعن أبي الدرداء : ألم يكن فيكم صاحب السواد عبدالله ؟ .

---

(١) في تاريخ البخاري : حذلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعن عبدالله بن شدّاد : انَّ عبدالله كان صاحب السِواد والوساد والسواك والنعلين[١] .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٨ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ ، طرح التثريب ج ١ ص ٧٥ .

١٧ - عن أبي وائل قال إبن مسعود : إنِّي لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم وما في كتاب الله سورة ولا آية إلاّ وأنا أعلم فيم أُنزلت ومتى نزلت . قال أبو وائل : فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه .

أخرجه الشيخان والنسائي كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، وذكره اليافعي في مرآته ج ١ ص ٨٧ .

هذا ابن مسعود :

وهذا علمه وهديه وسمته وصلاحه وزلفته إلى نبيِّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم ، أضف إلى ذلك كلّه سابقته في الإسلام وهو سادس ستة ، وهجرته إلى الحبشة ثمَّ إلى المدينة ، وشهوده بدراً ومشاهد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّها ، وهو أحد العشرة المبشَّرة بالجنَّة كما في رواية أبي عمر في الإستيعاب ، ولعلّك لا تشكُّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة والتاريخ في أنَّه لم يكن له دأب إلاّ على نشر علم القرآن وسنَّة الرسول وتعليم الجاهل ، وتنبيه الغافل ، وتثبيت القلوب ، وشدِّ أزر الدين ، في كلّ ذلك هو شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هديه وسمته ودلِّه ، فلا تجد فيه مغمزاً لغامز ، ولا محلاً للمز لامز ، وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلّمهم أُمور دينهم ، وبعث عمّاراً أميراً وكتب إليهم : إنَّهما من النجباء من أصحاب محمَّد من أهل بدر ، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما ، وقد آثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي[٢] وقد سمعت ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم : جُزيت خيراً ، فلقد علّمت

---

(١) كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله ويحمل نعليه . قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٦ : ص ٢٨ .

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، ج ٢ : ص ٤٣٦ ، الاصابة ج ٢ ص ٣٦٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاهلنا وثبّتَ عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقّهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل .

كان إبن مسعود أوّل من جهر بالقرآن بمكّة ، إجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قطّ ، فمن رجلٌ يسمعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسعود : أنا . قالوا : إنّا نخشاهم عليك ، إنّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإنّ الله سيمنعني ، قال : فغدا إبن مسعود حتّى أتى المقام في الضحى ، وقريشٌ في أنديتها ، حتّى قام عند المقام ثمّ قرأ : بسم الله الرّحمن الرّحيم . رافعاً بها صوته . ﴿الرّحمٰن علّم القرآن﴾ . قال: ثمّ استقبلها يقرؤها ، قال : وتأمّلوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال إبن أُم عبد ؟ قال : ثمّ قالوا : إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن . ولئن شئتم لأُغادينّهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[1]

وقد هذّبته تلكم الأحوال وكهربته ، فلم يُسق لمغضبة على باطل ، ولم يحده طيشٌ إلى غاية ، فهو إن قال فعن هُدى ، وإن حدّث فعن الصادع الكريم صدقاً ، وإن جال ففي مستوى الحقّ ، وإن صال فعلى الضلالة ، وعرفه بذلك مَن عرفه من أوّل يومه ، وكان معظماً مبجّلاً لدى الصحابة وكانوا يحذرون خلافه والردَّ عليه ويعدُّونه حوباً قال أبو وائل : إنّ ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال : إرفع إزارك . فقال : وأنت يابن مسعود ! فارفع إزارك . فقال : إنّي لست مثلك إنّ بساقي حموشة وأنا آدم الناس فبلغ ذلك عمر فضرب الرجل ويقول : أتردّ على ابن مسعود[2]؟ .

وأخرج أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ بالإسناد عن علقمة قال : جاء

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٧ .

(٢) الاصابة ج ٢ ص ٣٧٠ ، كنز العمّال ج ٧ ص ٥٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجلٌ إلى عمر وهو بعرفات فقال : جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه فغضب عمر غضباً شديداً وقال : ويحك ومن هو ؟ قال عبدالله بن مسعود . قال : فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله وقال : والله ما أعلم من النّاس أحداً هو أحقُّ بذلك منه .

فلماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاؤه سنين ؟ ثمَّ يأتيه مَن سامه سوء العذاب وقد خالجه الندم ولات حين مَندم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها إبن مسعود وهو في منصرم عمره ، ويسأل ربّه أن يأخذ له منه بحقِّه ، ثمَّ يتوجَّه إلى النعيم الخالد مُعرضاً عن الحطام الزائل ، موصياً بأن لا يصلّي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع .

لماذا فُعل به هذا ؟ ولماذا شُتم على رؤوس الأشهاد ؟ ولماذا أُخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُهاناً عنفاً ، ولماذا ضُرب به الأرض فدُقَّت أضالعه؟ ولماذا بطشوا به بطش الجبّارين ؟ .

كلّ ذلك لأنَّه امتنع عن أن يبيح للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال الكوفة يوم كان عليه ما أمر به ، فألقى مفاتيح بيت المال لما لم يجد من الكتاب والسنَّة وهو العليم بهما مساغاً لهاتيك الإباحة ولا لأثرة الآمر بها ، وعلم أنَّها سوف تتبعها من الأعطيات التي لا يقرّها كتاب ولا سنَّة ، فتسلّل عن عمله وتنصّل ، وما راقه أن يبوء بذلك الإثم ، فلهج بما علم ، وأبدى معاذيره في إلقاء المفاتيح ، فغاض تلكم الأحوال داعية الشهوات ، وشاخص الهوى الوليد بن عقبة ، فكتب في حقّه ونمَّ وسعى ، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ما عرفت ، ولم تمنع عن ذلك سوابقه في الإسلام وفضائله وفواضله وعلمه وهديه وورعه ومعاذيره وحججه ، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كلّه ، فأوجب نقمة الصحابة على مَن نال ذلك منه ، وإنكار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيحة أُمّ المؤمنين في خدرها ، ولم تزل البغضاء محتدمة على هذه وأمثالها حتّى كان في مغبَّة الأمر ما لم يحمده خليفة الوقت وزبانيته الذين جرّوا إليه الويلات .

ولو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الإنتقام ، أو أعار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لنصح صلحاء الامَّة أُذناً واعية ، أو لم يستبدل بجراثيم الفتن عن محنّكي الرجال ، أو لم ينبذ كتاب الله وسنَّة نبيّه وراء ظهره ، لما استقبله ما جرى عليه وعلى من اكتنفه من الوأد والهوان لكنَّه لم يفعل ففعلوا ، ولمحكمة العدل الإلهيِّ غداً حكمها البات .

ولابن مسعود عند القوم مظلمةٌ أُخرى وهي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر ، لماذا كان ذلك ؟ لأنَّه دفن أبا ذر لمّا حضر موته في حجَّته . وجد بالربذة في ذلك الوادي القفر الوعر ميتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان .

وجد صحابيّاً عظيماً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقرّبه ويُدنيه قد فارق الدنيا .

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة .

وجد مثالاً للقداسة والتقوى، فتمثَّلت أمام عينيه تلك الصورة المكبَّرة التي كان يشاهدها على العهد النبويِّ .

وجد شبيه عيسى بن مريم في الامَّة المرحومة هدياً وسمتاً ونُسكاً وزُهداً وخُلقاً ، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام .

وجد عزيزاً من أعزّاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً .

وجد في قارعة الطريق جثمان طيِّب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس ، وتسفي عليه الرياح ، وذكر قول رسول الله : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ، ويحشر وحده .

فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمرُّوا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كلِّ مسلم فضلاً عن أبي ذر الذي بشَّر بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنهضوا بالواجب فأودعوه في مقرِّه الأخير والعيون عبرى ، والقلوب واجدة على ما ارتكب من هذا الإنسان المبجّل ، فلمّا هبطوا يثرب نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر ، فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً ، حتى صدر الأمر بجلده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أربعين سوطاً ، وذلك أمرٌ لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطمّ جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة ، فكيف بمثل أبي ذر وعاء العلم ، وموئل التقوى ، ومنبثق الإيمان ، وللعداء مفعولٌ قد يبلغ أكثر من هذا .

أيّ خليفة هذا لم يُراع حرمةً ولا كرامة لصلحاء الامَّة وعظماء الصحابة من البدريِّين الذين نزل فيهم القرآن ، وأثنى عليهم النبيُّ العظيم ؟ وقد جاء في مجرمٍ بدريّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قال عمر : إئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه : مهلاً يابن الخطّاب إنّه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلَّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فإنّي غافرٌ لكم[1] واختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان في زمرتهم لفضلهم المتسالم عليه عند الامَّة جمعاء ، كأنَّ الرجل آلى على نفسه أن يُطلَّ على الامَّة الداعية إلى الخير ، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، بالذلِّ والهوان ، ويُسرَّ بذلك سماسرة الأهواء من بني أبيه ، فطفق بمراده ، والله من ورائهم حسيب .

والمدافع إن أعوزته المعاذير تشبَّث بالطحلب فقال[2] : حداه إلى ذلك الإجتهاد . ذلك العذر العام المصحّح للأباطيل ، والمبرِّر للشنائع ، والوسيلة المتَّخذة لإغراء بسطاء الامَّة ، وذلك قولهم بأفواههم ، **﴿وإنَّ ربَّك يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون﴾**[3] **﴿وإنَّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾**[4] .

٤٢ ـ مواقف الخليفة مع عمّار :

١ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٨ بالإسناد من طريق أبي مخنف قال : كان في بيت المال بالمدينة سفطٌ فيه حليٌّ وجوهر ، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتى

---

(١) أحكام القرآن ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٢) راجع التمهيد للباقلاني ص ٢٢١ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٤٥ ، الصواعق ص ٦٨ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٣) سورة النمل ؛ الآية : ٧٤ .

(٤) سورة القيامة ؛ الآية : ١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغضبوه فخطب فقال : لنأخذنَّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام . فقال له عليٌّ : إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه . وقال عمّار بن ياسر : أشهد الله إنَّ أنفي أوَّل راغم من ذلك . فقال عثمان : أعليَّ يابن المتكاء[1] تجترىء ؟ خذوه ، فأخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غُشي عليه ثمَّ أُخرج فحمل حتى أُتي به منزل أُمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال : الحمد لله ليس هذا أوَّل يوم أُوذينا فيه في الله ، وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم فقال : يا عثمان أمّا عليّ فاتَّقيته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتّى أشفيتَ به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنَّ به رجلاً من بني أُميَّة عظيم السُرَّة ، فقال عثمان : وإنَّك لها هنا يابن القسريَّة ؟ قال : فإنَّهما قسريَّتان وكانت أُمّه وجدَّته قسريَّتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج ، فأتى أُمَّ سلمة فإذا هي قد غضبت لعمّار ، وبلغ عائشة ما صنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمَّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنّة نبيِّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبلَ بعدُ . فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى ما درى ما يقول فالتجَّ المسجد وقال الناس : سبحان الله ، سبحان الله ، وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبدالله بن سعد بن أبي سرح فجعل يُكثر التعجب والتسبيح .

وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى أُمِّ سلمة وغضبها لعمّار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ! ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون . واستقبح الناس فعله بعمّار وشاع فيهم فاشتدَّ إنكارهم له .

وفي لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري ص ٨٨ : كان في الخزائن سفطٌ فيه حليّ وأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أُعطيه مَن شئت وأمنعه مَن شئت فأرغم الله أنف

---

(١) المتكاء : البظراء . المفضاة . التى لا تمسك البول . العظيمة البطن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من رغم فقال عمّار : أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك . فقال عثمان : لقد اجترأت عليَّ يابن سميَّة ؟! وضربه حتّى غشي عليه فقال عمّار : ما هذا بأوّل ما أُوذيت في الله . وأطلعت عائشة شعراً من رسول الله ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه ـ فيما يحسب وهب ـ ثمَّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيِّكم . وقال عمرو بن العاص : هذا منبر نبيِّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبلَ فيكم وقد بدَّلتم وغيَّرتم . فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول .

٢ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٩ : إنَّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدَّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدَّدوا فيه أحداث عثمان وخوَّفوه ربَّه وأعلموه أنَّهم مواثبوه إن لم يُقلع فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعليَّ تقدم مِن بينهم ؟ فقال عمّار : لأنّي أنصحهم لك . فقال : كذبت يابن سميَّة ! فقال : أنا والله ابن سميَّة وابن ياسر . فأمر غلمانه فمدّوا بيديه ورجليه ثمَّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه .

وذكره ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وقال أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٢٢ : وللحلف والولاء اللذين بين بني مخزوم وبين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا : والله لئن مات لَقتلنا به أحداً غير عثمان .

صورة مفصلة :

قال إبن قتيبة : ذكروا أنَّه اجتمع ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً ذكروا فيه : ١ ـ ما خالف فيه عثمان من سُنَّة رسول الله وسنَّة صاحبيه .

٢ ـ وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حقُّ الله ورسوله ، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته .

٤ ـ وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله .

٥ ـ وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أُميَّة من أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرَّسول ولا تجربة لهم بالأُمور .

٦ ـ وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح وهو أميرٌ عليها سكران أربع ركعات ثمَّ قال لهم : إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم .

٧ ـ وتعطيله إقامة الحدِّ عليه وتأخيره ذلك عنه .

٨ ـ وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم .

٩ ـ وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة .

١٠ ـ وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأُعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبيِّ ﷺ ثمَّ لا يغزون ولا يذبّون .

١١ ـ وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط ، وأنَّه أوَّل من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وإنَّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرَّة والخيزران .

ثمَّ تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممَّن حضر الكتاب عمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة ، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكَم وأهله من بني أُميَّة فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له : أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال : نعم . قال : ومَن كان معك؟ قال : معي نفرٌ تفرَّقوا فرَقاً منك . قال : ومن هم ؟ قال : أُخبرك بهم . قال : فلمَ اجترأت عليَّ من بينهم ؟ فقال مروان : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا العبد الأسود (يعني عمّاراً) قد جرَّأ عليك الناس وإنَّك إنْ قتلته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نَكلتَ بـهِ مَن وراءه . قال عُثمـان : إضربـوه . فضربـوه وضربـه عثمان معهم حتّى فتقوا بطنه فغشي عليه فجـرُّوه حتى طرحـوه على باب الـدار ، فأمـرت به أُمّ سلمـة زوج النبيِّ ﷺ فـأُدخل منـزلها وغضب فيـه بنو المغيـرة وكان حليفهم ، فلمّـا خـرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بـن المغيرة فقـال : أما والله لئن مـات عمّار من ضربه هذا لأقتلنَّ به رجلاً عظيماً من بني أُميَّة فقال عثمـان : لست هناك . قال : ثمَّ خرج عثمان إلى المسجد فـإذا هو بعليّ وهـو شاك معصـوب الرأس فقـال عثمان : والله يا أبا الحسن ! ما أدري أشتهي موتك أم أشتهي حيـاتك ؟ فـوالله لئن متّ مـا أُحبُّ أن أبقى بعدك لغيـرك ، لأنّي لا أجد منـك خَلفاً ولئن بقيت لا أعـدم طـاغياً يتَّخـذك سُلّماً وعضـداً ويعدّك كهفـاً وملجأ ، لا يمنعني منـه إلاّ مكانـه منك ومكانك منه ، فأنا منك كالإبن العاق من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقَّـه ، فإمّـا سلمٌ فنسالم وإمّا حربٌ فنحارب ، فلا تجعلني بين السَّماء والأرض . فإنَّك والله إن قتلتني لا تجد منّي خلفاً ، ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ، ولن يلي أمـر هذه الامَّـة بـادىء فتنة . فقـال عليٌّ : إنَّ فيما تكلّمت بـه لجواباً ولكني عن جوابـك مشغـولٌ بـوجعي فأنـا أقول كمـا قال العبـد الصالـح : فصبرٌ جميـل والله المستعان على مـا تصفون . قال مروان : إنّا والله إذاً لنكسـرن رماحنـا ولنقطعن سيـوفنا ولا يكـون في هذا الأمر خيـرٌ لمن بعدنـا ، فقال لـه عثمان : أُسكت ، مـا أنت وهذا ؟ . الإمـامة والسياسة ج ١ ص ٢٩ .

وذكـره مختصراً ابن عبـد ربِّه في العقـد الفريـد ج ٢ ص ٢٧٢ نقـلاً عن أبي بكـر بن أبي شيبة من طـريق الأعمش قـال : كتب أصحـاب عثمـان عيبـه ومـا ينقم الناس عليه في صحيفة فقالوا : من يذهب بها إليه ؟ قـال عمّار : أنـا . فذهب بهـا إليه فلمّا قرأها قال : أرغم الله أنفك قـال : وبأنف أبي بكـر وعمر قـال : فقام إليـه فوطئه حتى غشي عليـه ثمَّ ندم عثمـان وبعث إليه طلحـة والزبيـر يقولان لـه : إختر إحدى ثلاث : إمّا أن تعفو ، وإمّا أن تأخـذ الأرش ، وإمّا أن تقتصَّ ، فقـال : والله لا قبلت واحدة منها حتّى ألقى الله .

٣ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥٤ : وقد روي أيضـاً : أنَّه لمّـا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال : رحمه الله . فقال عمّار بن ياسر : نعم فرحمه الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من كلِّ أنفسنا . فقال عثمان : يا عاضَّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره ؟ وأمر فدفع في قفاه وقال : إلحق بمكانه فلمّا تهيَّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يُكلّم عثمان فيه فقال له عليّ : يا عثمان ! إتَّق الله فإنَّك سيّرت رجلاً[1] صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثمَّ أنت الآن تريد أن تنفي نظيره ، وجرى بينهما كلامٌ حتى قال عثمان : أنت أحقُّ بالنفي منه فقال عليٌّ : رُم ذلك إن شئت . واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كلّما كلّمك رجلٌ سيَّرته ونفيتَه فإنَّ هذا شيءٌ لا يسوغ . فكفَّ عن عمّار .

وفي لفظ اليعقوبي : لمّا بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال : رحم الله أبا ذر . قال عمّار : نعم رحم الله أبا ذر من كلِّ أنفسنا . فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان عن عمّار كلام فأراد أن يسيِّره أيضاً ، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال عليٌّ : لا ندع عثمان ورأيه . فجلس عمّار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلّمت به بنو مخزوم فأمسك عنه . تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٠ .

٤ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٩ : إنَّ عثمان مرَّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل : قبر عبدالله بن مسعود فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولِّي للصَّلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطىء عمّاراً حتّى أصابه الفتق .

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وفي لفظ اليعقوبي : توفّي «ابن مسعود» وصلّى عليه عمّار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلمّا انصرف رأى عثمان القبر فقال : قبر مَن هذا ؟ فقيل : قبر عبدالله بن مسعود ، قال : فكيف دُفن قبل أن أعلم ؟ فقالوا : ولي أمره عمَّار بن ياسر وذكر أنَّه أوصى أن لا يُخبر به ولم يلبث إلاّ يسيراً حتّى مات المقداد[2] فصلى عليه عمّار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به فاشتدَّ غضب

---

(١) يعني سيدنا أبا ذر الغفاري .

(٢) اتفقوا على انّه مات سنة ثلاث وثلاثين ، وتوفي ابن مسعود قبله بسنة او أقل او أكثر .

عثمان على عمّار وقال : ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليماً . تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٧ .

وفي طبقات إبن سعد ج ٣ ص ١٨٥ ط ليدن : إنَّ عقبة بن عامر هو الذي قتل عمّاراً وهو الذي كان ضربه حين أمره عثمان بن عفّان .

قال الأميني : هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على طمأنينته بالإيمان والرضا بقنوته آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، في رجل هو أوّل مسلم اتَّخذ مسجداً في بيته يتعبَّد فيه[1] في رجل تضافر الثناء عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشفوعاً بالنهي المؤكّد عن بغضه ومعاداته وسبّه وتحقيره وانتقاصه بألفاظ ستقف عليها إن شاء الله تعالى . وقد أكبرته الصحابة الأوَّلون ونقمت على من آذاه وأغضبه وأبغضه ، وفُعل به كلّ تلكم المناهي ولم يؤثر عن عمّار إلاّ الرضا بما يُرضي الله ورسوله والغضب لهما والهتاف بالحقّ والتجهُّم أمام الباطل رضي الناس أم غضبوا ، ولم يزل على ذلك كلّه منذ بدء أمره الذي اوذي فيه هو وأبواه ، فكان مرضيّاً عند الله إيمانهم وخضوعهم وبعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذكرهم ورداً لنبيِّ الإسلام فلم يزل يلهج بهم ويدعو لهم ويقول :

إصبروا آل ياسر ! موعدكم الجنَّة . من طريق عثمان بن عفان[2] .

ويقول : أبشروا آل ياسر ! موعدكم الجنَّة . من طريق جابر[3] .

ويقول : اللهمَّ اغفر لآل ياسر وقد فعلت . رواه عثمان أيضاً[4] .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار وبأبيه وأُمِّه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ط/ليدن ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١١ .

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله ثقات ، وأخرجه الطبراني عن عمّار ، والبغوي وابن مندة والخطيب وأحمد وابن عساكر عن عثمان كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٨٥ .

(٣) مجمع الزوائد نقلاً عن الطبراني ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم وهو ثقة .

(٤) مسند أحمد ج ١ ص ٦٢ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه البيهقي والبغوي والعقيلي والحاكم في الكنى وابن الجوزي وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حميت الظهيرة يعذِّبونهم برمضاء مكّة فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر ! موعدكم الجنَّة . صبراً آل ياسر ! فإنَّ مصيركم إلى الجنَّة[1] .

نعم : كان عمّار هكذا عند مفتتح حياته الدينيَّة إلى منصرم عمره الذي قتلته فيه الفئة الباغية . وقد أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

ويحك يا بن سميَّة تقتلك الفئة الباغية .

وفي لفظ : تقتل عمّاراً الفئة الباغية ، وقاتله في النار .

وفي لفظ : ويح عمّاراً وويح ابن سميَّة تقتله الفئة الباغية .

وفي لفظ معاوية : تقتل عمّاراً الفئة الباغية .

وفي لفظ عثمان : تقتلك الفئة الباغية ، قاتل عمّار في النار .

وفي لفظ : تقتل عمّاراً الفئة الباغية عن الطريق ، وإنَّ آخر رزقه من الدنيا ضياحٌ من لبن .

وفي لفظ عمّار : أخبرني حبيبي ﷺ انَّه تقتلني الفئة الباغية ، وأنَّ آخر زادي مذقة من لبن .

وفي لفظ حذيفة : إنَّك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحقِّ ، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن .

وفي لفظ : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النار .

وفي لفظ أنس : ابن سميَّة تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه في النار .

وفي لفظ عائشة : اللهمَّ بارك في عمّار ، ويحك ابن سميَّة تقتلك الفئة الباغية ، وآخر زادك من الدنيا ضياحٌ من لبن .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، وأخرجه الحارث والضياء والحاكم والطيالسي والبغوي وابن مندة وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي لفظ : ويح ابن سميَّة ليسوا بالذين يقتلونك إنَّما تقتلك الفئة الباغية .

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدَّ التواتر منها طريق عثمان بن عفان ، عمرو بن العاص ، معاوية بن أبي سفيان ، حذيفة بن اليمان ، عبدالله بن عمر ، خزيمة بن ثابت ، كعب بن مالك ، جابر بن عبدالله ، ابن عباس ، أنس بن مالك ، أبي هريرة الدوسي ، عبدالله بن مسعود ، أبي سعد ، أبي امامة ، أبي رافع ، أبي قتادة ، زيد بن أبي أوفى ، عمّار بن ياسر ، عبدالله بن أبي هذيل ، أبي اليسر ، زياد بن الفرد ، جابر بن سمرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أُمّ سلمة ، عائشة .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٠ ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ وقال : تواترت الآثار عن النبيِّ ﷺ انَّه قال : تقتل عمّاراً الفئة الباغية . وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوَّته وهو من أصحِّ الأحاديث . طرح التثريب ج ١ ص ٨٨ وصحَّحه ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٦ وصحَّحه من عدَّة طرق ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩ وذكر تواتره ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ وقال : تواترت الأحاديث ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ ، ج ٧ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ونصَّ على تواتره السيوطي في الخصائص كما مرَّ في الجزء الثالث ٣٠٨

وأخرجه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والبزار ، وعبد الرزاق ، والطبراني ، والدارقطني ، وأبو يعلى ، وأبو عوانة ، والإسماعيلي ، والضياء المقدسي ، وأبو نعيم ، وتمام ، وابن قانع ، وابن مندة ، والبارودي ، والبرقاني ، وابن عساكر ، والخطيب .

عمّار في الذكر الحكيم :

هذا عمّار بين البدء والختام المحمودين وهو بينهما كما أثنى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالى : ﴿**أمَّنْ هُو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة**﴾[1] .

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٩ .

أخرج ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٧٨ ط ليدن وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس : إنها نزلت في عمّار بن ياسر .

وذكر الزمخشري في تفسيره ج ٣ ص ٢٢ : إنَّها نزلت في عمّار وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي .

وذكر القرطبي في تفسيره ج ١٥ ص ٢٣٩ عن مقاتل : إنَّ مَن هو قانت : عمّار بن ياسر .

وذكر الخازن في تفسيره ج ٣ ص ٥٣ : إنَّها نزلت في ابن مسعود وعمّار وسلمان . وذكره الخطيب الشربيني في تفسيره ج ٣ ص ٤١٠ . وذكر الشوكاني في تفسيره ج ٤ ص ٤٤٢ حديث ابن سعد وابن مردويه وابن عساكر. وزاد الآلوسي عليه في تفسيره ج ٢٣ ص ٢٤٧ قوله : وأخرج جويبر عن ابن عباس انَّها نزلت في عمّار وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة . وعن عكرمة : الإقتصار على عمّار . وعن مقاتل : المراد بمن هو قانت : عمّار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر . وجلُّ ما ذكره الآلوسي مأخوذ من الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٣ .

آية ثانية : أخرج ابن ماجة في قوله تعالى : ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء**﴾ . الآية[1] انَّها نزلت في عمّار وصهيب وبلال وخباب .

راجع تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٨٠ ، تفسير الزمخشري ج ١ ص ٤٥٣ ، تفسير الرازي ج ٤ ص ٥٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٤ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ١٠ ، الدر المنثور ج ٣ ص ١٤ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

آية ثالثة : أخرج جمعٌ من الحفّاظ نزول قوله تعالى : ﴿**إلاّ مَن أُكره وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان**﴾[2] في عمّار . وقال أبو عمر في الإستيعاب . هذا ممّا اجتمع

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٢ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ١٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهل التفسير عليه . وقال القرطبي : نزلت في عمّار في قول أهل التفسير . وقال ابن حجر في الإصابة : اتّفقوا على أنها نزلت في عمّار .

قال ابن عبّاس (في لفظ الواحدي) نزلت في عمّار بن ياسر وذلك أنَّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأُمَّه سميّة وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً ، فأمَّا سمية فإنَّها رُبطت بين بعيرين ووُجيء قُبلها بحربة ، وقيل لها : إنّك أسلمتِ من أجل الرجال . فقتلت ، وقتل زوجها ياسر ، وهما أوّل قتيلين قُتلا في الإسلام ، وأمّا عمّار فإنَّه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأُخبر النبيُّ ﷺ بأنَّ عمّاراً كفر . فقال : كلّا إنَّ عمّاراً مليء ايماناً من قرنه إلى قدمه ، وأُخلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه وقال : إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

أخرج حديث نزولها في عمّار ، ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبري عن ابن عبّاس . وعبد الرزّاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصحّحه، وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن محمَّد بن عمّار عن أبيه . وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر عن أبي مالك .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٢٢ ، أسباب النزول للواحدي ص ٢١٢ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٥٧ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨٠ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ١٧٦ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦٨٣ ، تفسير الرازي ج ٥ ص ٣٦٥ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ١٦٢ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ١٤ ص ١٢٢ ، بهجة المحافل ج ١ ص ٩٤ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٧ ، الدرّ المنثور ج ٤ ص ١٣٢ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٤٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، تفسير الشوكاني ج ٣ ص ١٩١ ، تفسير الآلوسي ج ١٤ ص ٢٣٧ .

آية رابعة : ذكر الواحدي من طريق السديّ أنَّ قوله تعالى : ﴿**أفَمَن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمَن متَّعناه متاع الحياة الدُنيا ثمَّ هو يوم القيامة من**

المحضرين﴾[1] نزل في عمّار والوليد بن المغيرة .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٥٥ ، تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٠٣ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٣٨٦ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٤٣ ، تفسير الشربيني ج ٣ ص ١٠٥ .

آية خامسة : أخرج أبو عمر من طريق ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿**أومَن كان ميّتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**﴾[2] إنّه عمّار بن ياسر .

وأخرج نزولها في عمّار ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ راجع الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ٢٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧٢ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٠٠ ، تفسير السيوطي ج ٣ ص ٤٣ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٢٩ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٣٢ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١٥٢ .

الثناء الجميل على عمّار :

أمّا الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدِّث عنها ولا حرج وإليك نزراً منها :

١ ـ عن إبن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث : إنَّ عمّاراً مُلىء إيمانه مِن قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه .

راجع حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ١٧٦ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦٨٣ ، بهجة المحافل ج ١ ص ٩٤ ، تفسير الرازي ج ٥ ص ٣٦٥ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٤٣ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ وج ٧ ص ٧٥ ، تفسير الآلوسي ج ١٤ ص ٢٣٧ .

٢ ـ أخرج ابن عساكر من طريق عليّ : عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحقّ حيث زال ، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً .

[كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٣]

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦١ .

(٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ أخرج البزّار من طريق عائشة قالت : ما أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ إلاّ لو شئت لقلت فيه ما خلا عمّاراً فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : مُلىء إيماناً إلى مشاشه . وفي لفظ أبي عمر : مُلىء عمّار إيماناً إلى أخمص قدميه . وفي لفظ له : إنَّ عمّار بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أُذنيه ايماناً .

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ وقال : رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن ماجة من طريق عليّ كما في طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، وأخرجه إبن ديزيل والنسائي من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل مرفوعاً كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣١١ ولفظه : لقد مُلىء عمّار إيماناً من قدمه إلى مشاشه . ورواه عبد الرزاق والطبراني وابن جرير وابن عساكر كما في كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ . وأخرجه أبو عمر بالألفاظ الثلاثة في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ .

٤ ـ أخرج إبن ماجة وأبو نعيم من طريق هاني بن هاني قال : كنّا عند عليّ فدخل عليه عمّار فقال : مرحباً بالطيِّب المطيَّب سمعت رسول الله ﷺ يقول : عمّار ملىء ايماناً إلى مشاشه .

سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٥ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

٥ ـ أخرج إبن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٨٧ ط ليدن مرفوعاً : إنَّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه ، يدور عمّار مع الحقِّ أينما دار ، وقاتل عمّار في النار .

وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم من طريق إبن مسعود مرفوعاً : إذا اختلف النّاس كان إبن سميَّة مع الحقِّ .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٧٠ ، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٨٤ ، وفي لفظ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ـ في سيرة عليّ ـ : جاء رجلٌ إلى ابن مسعود فقال : أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله . قال : أرأيت إن جاء قوم كلّهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلف النّاس كان ابن سميَّة مع الحقِّ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخرج أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ من طريق حُذيفة : عليكم بابن سميَّة فإنَّه لن يُفارق الحقّ حتّى يموت . أو قال : فإنَّه يدور مع الحقِّ حيث دار .

٦ ـ أخرج ابن ماجة من طريق عطاء بن يسار عن عائشة مرفوعاً : عمّار ما عُرض عليه أمران إلاّ اختار الأرشد منهما .

وفي لفظ أحمد من طريق ابن مسعود مرفوعاً : ابن سميَّة ما عُرض عليه أمران قطّ إلاّ أخذ بالأرشد منهما . وفي لفظ آخر له من طريق عائشة : لا يخيَّر بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما . وفي لفظ الترمذي : ما خُيّر عمّار بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٩ وج ٦ ص ١١٣ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦ ، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٢٨٨ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

٧ ـ أخرج الترمذي من طريق عليّ قال : إستأذن عمّار على النبيِّ ﷺ فقال : إئذنوا له : مرحباً بالطيِّب المطيَّب . فقال : حسنٌ صحيحٌ .

وأخرجه الطبراني وابن أبي شيبة وأحمد في المسند ج ١ ص ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، والبخاري في تاريخه ج ٤ ص ٢٢٩ من القسم الثاني ، وابن جرير وصحَّحه والحاكم والشاشي وسعيد بن منصور وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ ، والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٨٨ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، وابن ماجة في السنن ج ١ ص ٦٥ ، وابن كثير في البداية ج ٧ ص ٣١١ ، وابن الديبع في التيسير ج ٣ ص ٢٧٨ ، والعراقي في طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، والسيوطي في الجامع الكبير ج ٧ ص ٧١ .

٨ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً : إنَّ الجنَّة تشتاق إلى أربعة : عليّ بن أبي طالب ، وعمّار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والمقداد .

وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر : إشتاقت الجنَّة إلى ثلاثة : عليٌّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعمّار وسلمان .

وفي لفظ لابن عساكر : إشتاقت الجنّة إلى ثلاثة : إلى عليّ وعمّار وبلال .

أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١٤٢ ، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٧ ، وصحّحه هو والذهبي ، والترمذي والطبراني كما في تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١ ، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٣٠٧ ، وأخرجه إبن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٣٠٦ ، وفي ج ٦ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ .

٩ ـ أخرج البزّار من طريق عليّ مرفوعاً : دم عمّار ولحمه حرامٌ على النّار أن تطعمه . وفي لفظ ابن عساكر : دم عمّار ولحمه حرامٌ على النّار أن تأكله أو تمسّه .

مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤ ، ج ٧ ص ٧٥ .

١٠ ـ أخرج ابن هشام مرفوعاً : ما لهم ولعمّار ؟ يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار ، إنّ عمّاراً جِلدةٌ ما بين عينيّ وأنفي ، فإذا بُلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه .

سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٥ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩ ، شرح إبن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٤ ولفظه : ما لقريش ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار ، قاتله وسالبه في النار ، وبهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٦٨ .

١١ ـ أخرج الطبراني وابن عساكر من طريق عائشة مرفوعاً : كم من ذي طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبرّه ، منهم : عمّار بن ياسر .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٤ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٤]

١٢ ـ أخرج أحمد من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً : مَن عادى عمّاراً عاداه الله ، ومَن أبغض عمّاراً أبغضه الله . صحّحه الحاكم والذهبي بطريقين ، وصحّحه الهيثمي .

وفي لفظ : من يسبّ عمّاراً يسبُّه الله ، ومَن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومَن يسفّه عمّاراً يسفهه الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ : مَن يسبّ عماراً ، يسبّه الله ومَن يُعادِ عمّاراً يُعادِه الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ لأحمد : مَن يعاد عمّاراً يعاده الله عزَّ وجلَّ ، ومَن يبغضه يبغضه الله عزَّ وجلَّ ، ومَن يسبّه يسبّه الله عزَّ وجلَّ .

وفي لفظ الحاكم : مَن يحقِّر عمّاراً يحقِّره الله ، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله .

وفي لفظ ابن النجار : من سبَّ عمّاراً سبَّه الله ، ومن حقَّر عمّاراً حقَّره الله ، ومن سفَّه عمّاراً سفهه الله .

وفي لفظ ابن عساكر : من يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومن يلعن عمّاراً يلعنه الله .

وفي لفظ الطبراني : من يُعادي عمّاراً يعاديه الله ، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومن يسبُّ عمّاراً يسبُّه الله ، ومن يسفِّه عمّاراً يسفهه الله ، ومن يحقّر عمّاراً يحقّره الله .

وفي لفظ الطبراني أيضاً : من يحقِّر عمّاراً يحقِّره الله ، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومن ينتقص عمّاراً ينتقصه الله ، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله . قال الهيثمي : رجاله ثقات .

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمعٌ كثير من الحفّاظ وأئمة الفنِّ راجع مسند أحمد ج ٤ ص ٨٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٥٢ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، أُسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، كنز العمّال ج ٦ ص ١٨٥ ، ج ٧ ص ٧١ ـ ٧٥ .

١٣ ـ عن حذيفة أنَّه قيل له : إنَّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا ؟ قال : إلزموا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمّـاراً قيل : إنَّ عمّـاراً لا يفارق عليّـاً قال : إنَّ الحسـد هو أهلك للجسـد ، وإنَّما ينفـركم من عمّار قـربه من عليّ . فـوالله لعليٍّ أفضل من عمّـار أبعد ما بين التراب والسحاب ، وإنَّ عمّاراً من الأخيـار . أخرجـه ابن عساكـر كما في كنـز العمّال ج ٧ ص ٧٣ .

١٤ ـ عن عبدالله بن جعفر قال : ما رأيت مثل عمّار بن ياسر ومحمّـد بن أبي بكر كانا لا يحبّان أن يعصيا الله طرفة عين ، ولا يخالفان الحقّ قيد شعرة . أخرجـه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٢ .

١٥ ـ ذكر الأبشيهي في المستطرف ج ١ ص ١٦٦ في حديث : هبط جبرائيل على رسول الله ﷺ يوم أُحد (وكان يسأل عن أصحابه) إلى أن قال : من هـذا الذي بين يديك يتّقي عنك ؟ قال : عمّار بن ياسر . قال : بشِّره بالجنّة حرمت النـار على عمّار .

هذا عمّار :

إذا درستَ هذه كلّها فهل تجد من الحقِّ أن يُعمـل معه تلكم الفـظاظات مـرّة بعد أُخرى ؟ وهل تجد مبرِّراً لشيء منها ؟ فإن زعمت أنَّها تـأديبٌ من خليفة الـوقت فـإنَّ التـأديب لا يسـوغ إلّا على إسـاءَة في الأدب ، وزور من القـول ، ومنـاقضـة للحقِّ ، ومضادَّة للشريعة ، ويُجلّ عمّار عن كلِّ ذلك ، فلم يصدر منه غير دُعاء إلى الحقِّ ، وأذان بالحقيقة ، وتضجُّـرٍ لمظلوم ، وعمـل بالـوصيَّة واجب ، ورسـالةٍ عن أُناس مؤمنين يأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكـر ، فهل حـظر الإسلام شيئـاً من هـذه فأراد الخليفـة أن يعيد عمّـاراً إلى نصـاب الحقِّ ؟ أو أنَّ الخليفـة مفـوّضٌ في النفوس كما يرى أنّه مفوّضٌ في الأموال فيراغم فيها عامَّةالمسلمين بـإرضاء من يجب إرغامهم من أُناس لا خـلاق لهم ؟ وكذلـك يفعل بـالنفوس فعـل المستبدِّين ولـوازم الدكتاتوريَّة ومقتضيات الملك العضوض .

ولـو كان الخليفـة ناصبـاً نفسه للتـأديب فهل أدَّب أمثـال عبيـدالله بن عمـر ، والحكم بن أبي العـاص ، ومـروان بن الحكم ، والـوليـد بن عقبـة ، وسعيـد بن العاص ، ونظرائهم من رجـال العيث والفساد المستحقين للتـأديب حيناً بعـد حين ؟

وهو كان يرنو إلى أعمالهم من كثب ، لكنَّه لم يصدر منه إلاّ إرضائهم وتوفير العطاء لهم والدفاع عنهم ، وتسليطهم على النفوس والأموال حتى أوردوه مورد الهلكة ، ولقد ادَّخر تأديبه كلّه لصلحاء الامَّة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود ومن حذا حذوهم ، فإلى الله المشتكى .

وإنَّك لو أمعنت النظرة في أعماله وأفعاله لتجدنَّه لا يقيم وزناً لأيِّ صالح من الأُمَّة ، ولقد ترقّى ذلك أو تسافل حتى انَّه جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرَّة بقوارص كلماته وممّا قال له ممّا مرَّ في صفحة «٣٦ ، ٣٧» قوله : أنت أحقُّ بالنفي منه . وقوله : لئن بقيتُ لا أعدم طاغياً يتخذك سلّماً وعضداً ويعدُّك كهفاً وملجأ . يريد بالطاغي أبا ذر وعمّار وأمثالهما ويجعل الإمام عليه السلام سُلّماً وعضداً وكهفاً وملجأ لمن سمَّاهم الطغاة . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم .

كأنَّ الرجل لم يصاحب النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يَعِ إلى ما هتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أوَّل يومه آناء الليل وأطراف النهار في حلّه ومرتحله ، في ظعنه وإقامته ، عند أفراد من أصحابه أو في محتشد منهم ، ولدى الحوادث والوقائع ، وعند كلِّ مناسبة ، وفي حروبه ومغازيه .

وكأنَّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام عليه السلام في مآزق الإسلام الحرجة ، ولم يشهد كرَّاته وقد فرَّ أصحابه ، وتفانيه في سبيل الدعوة عند خذلان غيره ، واقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة ، وتقهقر بهم الفرَق ، وثبَّطهم الخول .

يزعم القوم أنَّ الخليفة كان حافظاً للقرآن وأنَّه كان يتلوه في ركعة في لياليه ولو صحَّ ما يقولون فهلاّ كان يمرُّ بآية التطهير ومولانا الإمام عليه السلام أحد الخمسة الذين أُريدوا بها ؟ وبآية المباهلة وهو نفس النبي فيها ؟ إلى آيات أُخرى نازلة فيه بالغة إلى ثلاثمائة آية كما يقوله حبر الأُمَّة عبدالله بن العباس[1] أو أنّه كان يمرُّ بها على حين غفلة من مفادها ؟ أو يمرُّ بها وقد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء الاول ص ٣٨٩

يلتفت إليها ؟ أو أنّه كان يرتّلها ملتفتاً إلى مغازيها ؟ ولكن . . . .

أنا لا أدري بماذا يُعلّل قوارص الخليفة عليّاً عليه السلام إبنا حجر وكثير وأمثالهما المعلّلون أقوال الخليفة وأفعاله في مثل أبي ذر وابن مسعود ومالك الأشتر ، بأنّ مصلحة بقائهم في الأوساط الإسلاميّة مع الحريّة في المقال لا تكافىء المفسدة المترتّبة عليه من سقوط أُبّهة الخلافة . على أنّه ما كان عند القوم إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل يجرُّهم الحبُّ المعمي والمصمُّ إلى أن يقولوا بمثل ذلك في حقّ عظيم الدنيا والدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فهل كانت مفسدة هنالك مترتّبة على مقام الإمام في المدينة حتى يكون نفيه عنها أولى ؟ وهل هو إلّا الصلاح كلّه ؟ وهل المصالح النوعيّة والفرديّة تُسْتَقَى من غيره ؟ ولعمر الحقّ انّ أُبّهة تسقط لمكان أمير المؤمنين عليه السلام وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه لحريّةٌ بالسقوط ، وأيم الله لو وسع أُولئك المُدافِعون عن تلكم العظائم لدنّسوا ساحَة قُدس الإمام بالفرية الشائنة ، واتّهموه بمثل ما اتّهموا به غيره من صُلحاء الأُمّة وأعلام الصحابة والخيرة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ولكن . . .

ولو كان الخليفة يعير لنصائح الإمام عليه السلام أُذناً واعية لصانه عن المهالك ، ولم تزل الأُبّهة مصونة له ، والعزُّ والنجاح ذخراً له ولأهل الإسلام ، وكان خيراً له من ركوبه النهابير التي جرّعته الغصص وأودت به وجرّت الويلات على الأُمّة حتى اليوم ، ولكنّه . . .

لا جرم أنّ الله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون ، إنّ هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً .

٤٣ ـ تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام :

روى البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال : لَمّا عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها ، فكان يجالس قرّاءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم : مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، وزيد وصعصعة إبنا صوحان العبديّان ، وحرقوص بن زهير السعدي ، وجندب بن زهير الأزدي ، وشريح بن أوفى بن

يزيد بن زاهر العبسي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وكان يقال لعبدة بن سعد : ابن ذو الحبكة ـ وكان كعب ناسكاً وهو الذي قتله بُسر بن أرطاة بتثليث ـ وعدي بن حاتم الجواد الطائي ويكنّى أبا طريف ، وكدام بن حضري بن عامر ، ومالك بن حبيب بن خراش ، وقيس بن عطارد بن حاجب ، وزياد بن خصفة بن ثقف ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وغيرهم فإنّهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السَّواد والجبل ففضّلوا السَّواد وقالوا : هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل ، وكان حسّان بن محدوج الذهلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك فقال عبد الرحمن بن خُنيس الأسدي صاحب الشرطة : لوددت أنّه للأمير وأنّ لكم أفضل منه . فقال له الأشتر : تمنَّ للأمير أفضل منه ولا تمنَّ له أموالنا . فقال عبدالرحمن : ما يضرّك من تمنّي حتّى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له . فقال الأشتر : والله لو رام ذلك ما قدر عليه . فغضب سعيد وقال : إنّما السّواد بستان لقريش . فقال الأشتر : أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ والله لو رامه أحدٌ لقُرع قرعاً يتصأصأ منه . ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي .

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً . فكتب إليه أن سيِّرهم إلى الشام . وكتب إلى الأشتر : إنّي لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحلَّ دمك وما أظنّك منتهياً حتى يصيبك قارعةٌ لا بُقيا بعدها ، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك مَن قِبلك وإنّك لا تألوهم خبالاً . فسيَّر سعيد الأشتر ومَن كان وثب مع الأشتر وهم : زيد وصعصعة إبنا صوحان ، وعائذ بن حملة الطُهوي من بني تميم ، وكميل بن زياد النخعي ، وجُندب بن زهير الأزدي ، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ، ويزيد بن المكفف النخعي ، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي ، وأصعر[1] بن قيس بن الحارث الحارثي .

فخرج المسيّرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق ونزلوا مع عمرو بن زرارة فبرَّهم معاوية وأكرمهم ، ثمَّ انّه جرى بينه وبين الأشتر قولٌ حتى تغالظا

---

(١) كذا في انساب الاشراف بالعين المهملة وفي الاصابة بالمعجمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فحبسه معاوية فقام عمرو بن زرارة فقال : لئن حبسته لتجدنَّ من يمنعه . فأمر بحبس عمرو فتكلّم سائر القوم فقالوا : أحسن جوارنا يا معاوية ! ثمَّ سكتوا فقال معاوية : ما لكم لا تكلّمون فقال زيد بن صوحان : وما نصنع بالكلام ؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله ، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية . فقال معاوية : يا أبا عائشة ! أنت رجل صدق . وأذن له في اللحاق بالكوفة ، وكتب إلى سعيد بن العاص : أمّا بعد : فإنّي قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه فأحسن جواره وكفّ الأذى عنه وأقبل إليه بوجهك وودّك ، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً . فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج مَن حبس ففعل .

وبلغ معاوية أنَّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه فكتب إلى عثمان : إنّك بعثت إليَّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه ، ولا آمن أن يفسدوا طاعة مَن قِبلي ويعلموهم مالا يُحسنونه حتّى تعود سلامتهم غائلة ، واستقامتهم اعوجاجاً .

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيِّرهم إلى حمص ، ففعل وكان واليها عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة ، ويقال : إنَّ عثمان كتب في ردِّهم إلى الكوفة فضجَّ منهم سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل .

[الأنساب ج ٥ ص ٣٩ ـ ٤٣]

صورة مفصّلة :

إنَّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة عليه من تأمير بني أُميَّة ولا سيّما الفسّاق منهم وأرباب السفه وقلّة الدين ، وإخراج مال الفيء إليهم وما جرى في أمر عمار وأبي ذر وعبدالله بن مسعود وغير ذلك من الامور التي جرت في أواخر خلافته ، ثمَّ اتَّفق أنَّ الوليد بن عقبة لمّا كان عاملاً على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر صرفه ، وولّى سعيد بن العاص مكانه فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوماً يسمرون عنده فقال سعيد يوماً : إنَّ السَّواد بستان لقريش وبني أُميَّة ، فقال الأشتر النخعي : وتزعم أنَّ السَّواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيافنا بستانٌ لك ولقومك ؟ فقال صاحب شرطته : أتردُّ على الأمير مقالته ؟ وأغلظ له ،

فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم من أشراف الكوفة : ألا تسمعون ؟ فوثبوا عليه بحضرة سعيدفوطأوه وطأ عنيفاً وجرُّوا برجله ، فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سماره ، فلم يأذن بعدُ لهم فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ثمَّ تعدوا إلى شتم عثمان ، واجتمع إليهم ناسٌ كثيرٌ حتّى غلظ أمرهم فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن يسيِّرهم إلى الشام لئلاّ يفسدوا أهل الكوفة وكتب إلى معاوية وهو والي الشام : إنَّ نفراً من أهل الكوفة قد همّوا بإثارة الفتنة وقد سيَّرتهم إليك ، فانههم فإن آنست منهم رشداً فأحسن إليهم وارددهم إلى بلادهم . فلمّا قدموا على معاوية ، وكانوا : الأشتر ، ومالك بن كعب الأرحبي ، والأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وصعصعة بن صوحان العبدي ، وغيرهم جمعهم يوماً وقال لهم :

إنَّكم قومٌ من العرب ذوو أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأُمم وحويتم مواريثهم ، وقد بلغني أنَّكم ذممتم قريشاً ، ونقمتم على الولاة فيها ، ولولا قريش لكنتم إذلَّة إنَّ أئمَّتكم لكم جُنَّة فلا تفرَّقوا عن جنَّتكم ، إنَّ أئمَّتكم ليصبرون على الجور ويحتملون فيكم العتاب ، والله لتنتهينَّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمدكم على الصبر ثمَّ تكونون شركاءَهم فيما جررتم على الرعيَّة في حياتكم وبعد وفاتكم .

فقال له صعصعة بن صوحان : أمّا قريش فإنَّها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهليَّة ، وإنَّ غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع .

فقال معاوية : إنَّك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً وقد عرفتكم الآن ، وعلمت أنَّ الذي أغراكم قلّة العقول ، أعظّم عليكم أمر الإسلام فتذكروني الجاهليَّة ، أخزى الله قوماً عظّموا أمركم ، إفقهوا عنِّي ولا أظنُّكم تفقهون : إنَّ قريشاً لم تعزّ في جاهليَّة ولا في الإسلام إلاّ بالله وحده ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدِّها ولكنَّهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأمحضهم أنساباً ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهليَّة والناس تأكل بعضهم بعضاً إلاّ بالله ، فبوَّأهم حرماً آمناً يتخطَّف الناس من حولهم ، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً ، إلاّ وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمهم إلاّ ما كان من قريش ، فإنّه لم يردّهم أحدٌ من الناس

بكيد إلّا جعل الله خدَّه الأسفل حتّى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتِّباع دينه من هوان الدنيا وسوء مردِّ الآخرة ، فارتضى لذلك خير خلقه ، ثمَّ ارتضى له أصحاباً ، وكان خيارهم قريشاً ، ثمَّ بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصحُّ الأمر إلّا بهم ، وقد كان الله يحوطهم في الجاهليَّة وهم على كفرهم ، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ؟ أُفٍ لك ولأصحابك ، أمّا أنت يا صعصعة ! فإنَّ قريتك شرُّ القرى ، أنتنها نبتاً ، وأعمقها وادياً ، وألأمها جيراناً ، وأعرفها بالشرِّ ، لم يسكنها شريفٌ قطُّ ، ولا وضيع إلّا شبَّ بها نزاع الأُمم وعبيد فارس ، وأنت شرُّ قومك أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجاً ، وتنزع إلى الغواية ؟ إنَّه لن يضرَّ ذلك قريشاً ولا يضعهم ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم ، انَّ الشيطان عنكم لغير غافل ، قد عرفكم بالشرِّ فأغراكم بالناس ، وهو صارعكم وإنَّكم لا تدركون بالشرِّ أمراً إلّا فتح عليكم شرُّ منه وأخزى ، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضرُّه ، ولستم برجال منفعة ولا مضرَّة ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تبطرنكم النعمة ، فإنّ البطر لا يجرُّ خيراً ، اذهبوا حيث شئتم ، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

وكتب إلى عثمان : إنَّه قدم عليَّ قومٌ ليست لهم عقولٌ ولا أديان ، أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلّمون بحجَّة ، إنَّما هممهم الفتنة والله مبتليهم وفاضحهم وليسوا بالذين نخاف نكايتهم ، وليسوا الأكثر ممَّن له شعب ونكير . ثمَّ أخرجهم من الشام .

وروى الحسن المدائني : إنَّه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم ، وإنَّ معاوية قال لهم في جملة ما قاله : إنَّ قريشاً قد عرفت أنَّ أبا سفيان أكرمها وابن أكرمها إلّا ما جعل الله لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّه انتجبه وأكرمه ، ولو أنَّ أبا سفيان ولد الناس كلّهم لكانوا حلماء .

فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت ، قد ولدهم خيرٌ من أبي سفيان ، مَن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرُّ والفاجر والكيِّس والأحمق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : ومن المجالس التي دارت بينهم : إنَّ معاوية قال لهم : أيُّها القوم ردُوا خيراً واسكنوا وتفكّروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه وأطيعوني .

فقال له صعصعة : لست بأهل لذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله .

فقال : إنَّ أول كلام ابتدأتُ به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا .

فقال صعصعة : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : إن كنتُ فعلتُ فإنّي الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وأن توقّروا أئمّتكم وتطيعوهم .

فقال صعصعة : إذا كنت تبت فإنّا نأمرك أن تعتزل أمرك فإنَّ في المسلمين من هو أحقّ به منك ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك ، وهو أحسن قَدماً في الإسلام منك .

فقال معاوية : إنَّ لي في الإسلام لقدماً وإن كان غيري أحسن قدماً منّي لكنَّه ليس في زماني أحدٌ أقوى على ما أنا فيه منّي ، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب ، فلو كان غيري أقوى منّي لم يكن عند عمر هوادة لي ولغيري ، ولا حدث ما ينبغي له أن أعتزل عملي ، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليَّ فاعتزلت عمله ، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلّا وهو خير ، فمهلاً فإنَّ فيَّ دون ما أنتم فيه ، ما يأمر فيَّ الشيطان وينهى ، ولعمري لو كانت الامور تُقضى على رأيكم وأهوائكم ما استقامت الامور لأهل الإسلام يوماً وليلة ، فعودوا إلى الخير وقولوه . فقالوا : لست لذلك أهلاً . فقال : أما والله إنّ لله لسطوات ونقمات وإنّي لخائفٌ عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرَّحمن فيحلّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل .

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال : مَهْ ، إنَّ هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتّى يقتلوكم فلعمري إنَّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً ، ثمَّ قام من عندهم فقال : والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت وكتب إلى عثمان :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، لعبدالله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان أمَّا بعد : يا أمير المؤمنن ! فإنَّك بعثت إليَّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين وما يُملون عليهم ويأتون النّاس زعموا من قِبل القرآن فيشبِّهون على النّاس ، وليس كلّ النّاس يعلم ما يريدون ، وإنَّما يريدون فُرقة ، ويقرِّبون فتنة ، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم ، وتمكّنت رُقى الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من النّاس ممَّن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغرُّوهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم ، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم . والسَّلام .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردَّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردَّهم إليه فلم يكونوا إلّا أطلق ألسنةً منهم حين رجعوا ، وكتب سعيد إلى عثمان يضجُّ منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيِّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميراً على حمص وهم : الأشتر ، وثابت بن قيس الهمداني[1] وكميل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان وأخوه صعصعة ، وجندب بن زهير الغامدي ، وحبيب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد[2] وعمرو بن الحمق الخزاعي .

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه : أمَّا بعد : فإنِّي قد سيَّرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها فإنَّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً . والسَّلام .

فلمَّا قرأ الأشتر الكتاب قال : اللّهمَّ أسوأنا نظراً للرعيَّة ، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجّل له النقمة . فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمٰن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقاً .

وروى الواقدي : إنَّ عبد الرحمٰن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً وفرض لهم طعاماً ثمّ قال لهم : يا بني الشيطان ! لا مرحباً بكم ولا أهلاً ، قد رجع

---

(١) في تاريخ الطبري : النخعي . بدل : الهمداني .

(٢) في اسد الغابة ج ٣ ص ٤٠٣ : كان ممّن سيره عثمان رضي الله عنه الى الشام من أهل الكوفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ في بساط ضلالكم وغيّكم ،جزى الله عبد الرّحمٰن إنْ لم يؤذكم ، يا معشر مَن لا أدري أعربٌ هم أم عجم ، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية ؟ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن مَن عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقىء عين الردَّة ، والله يابن صوحان ! لأطيرنَّ بك طيرة بعيدة المهوى إن بلغني أنَّ أحداً ممَّن معي دقَّ أنفك فاقتنعت رأسك ، قال : فأقاموا عنده شهراً كلّما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة : يابن الخطية ! إنَّ مَن لم يُصلحه الخير أصلحه الشرُّ ، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية ؟ فيقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال : تاب الله عليكم. فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردَّهم إلى الكوفة .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٨ ـ ٩٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٥٧ ـ ٦٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ ـ ١٦٠ ورأى هذه الصورة أصحَّ ما ذكر في القضيَّة ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ في حوادث سنة ٣٣ .

قال الأميني : ان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه وتقواهم المعترَف بها مُرتدَعٌ عن أذاهم وإجفالهم عن مستوى عزِّهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من مَنفى إلى منفى ، والإصاخة إلى سعاية ذلك الشابِّ المستهتر والله سبحانه يقول : ﴿**إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[1] وكان على الخليفة أن يبعث إليه بالملائمة بل يعاقبه على ما فرط في جنب أولياء الله بتسميته إيّاهم السفهاء وهم قرّاء المصر ، وزعماء الملأ ، ونسَّاك القطر ، وفقهاء القارَّة ، وهم القدوة في التقوى والنسك ، وبهم الأُسوة في الفقه والأخلاق ، ولم يكن عليهم إلّا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف ، وعدم مماشاتهم إيّاه على شهواته ومزاعمه ، وهلّا استشفَّ الخليفة حقيقة ما شجر بينه وبين القوم حتى يحكم فيه بالحقِّ ، لكنَّه بدل أن يتخذ تلكم الطريقة المثلى في القضيَّة استهواه ذلك الشابُّ المترف فمال إليه بكلّه ، ونال من القوم ما نال ،

---

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأوقع بهم ما حبَّذه له الحبُّ المعمي والمصمّ ، لكن الدين وملأه أنكرا ذلك عليه وحفظه التاريخ ممّا نقم به على عثمان .

كانت لائمة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لا عن حلم ، وخشونة لا يستمرُّ عليها ، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقّ أو ابتغاء إصلاح ، وإنّما كان يكاشفهم جلباً لمرضاة الخليفة ، ويوادعهم لما كان يدور في خلده من هوى الخلافة غداً ، وكان يعرف القوم بالشدَّة والمتبوعيَّة ، فما كان يروقه قطع خطّ الرجعة بينه وبينهم متى تسنّى له الحصول على غايته المتوخّاة ، وكانت هذه الخواطر لا تبارحه ، ولا يزال هو يعدّ الدقائق والثواني للتوصُّل إليها ، وكان أحبّ الأشياء إليه اكتساح العراقيل دونها ، ولذلك أطلق سُراح القوم وتثبَّط عن النهضة لنصرة عثمان لمّا استنصره (كما سيأتي تفصيله) حتّى قُتل ومعاوية في الخاذلين له .

وأمّا ابن خالد فقد جرى مجرى أبيه في الفظاظة والغلظة ، فلم يعاملهم إلاّ بالرعونة ولم يُجاملهم إلاّ بالقسوة ، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح .

وها هنا نوقفك على نُبذ من أحوال مَن يهمّك الوقوف على حياته الثمينة مِن أُولئك الرجال المنفيِّين الأبرار ، حتّى تعلم أن ما تقوَّلوه فيهم وفعلوه بهم في منتأى عنهم ، وإنَّما كان ذلك ظلماً وعدواناً ، وتعلم أنَّ ابن حجر مائنٌ فيما يصف به الأشتر من المروق[1] غير مصيب في قذفه ، متجانف للإثم في الدفاع عن عثمان بقوله : إنَّ المجتهد لا يُعترض عليه في أُموره الإجتهاديَّة ، لكن أُولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل[2] .

الأشتر :

١ ـ مالك بن الحارث الأشتر ، أدرك النبيَّ الأعظم وقد أثنى عليه كلُّ مَن ذكره ، ولم أجد أحداً يغمز فيه ، وثَّقه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات ، ولا يُحمل عدم رواية أيِّ إمام عنه على تضعيفه ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢ : قال مهنّا : سألت أحمد عن الأشتر يروي عنه الحديث ؟ قال :

(١) راجع الصواعق ص ٦٨ .

(٢) راجع الصواعق ص ٦٨ .

لا . قال : ولم يرد أحمد بذاك تضعيفه ، وإنّما نفى أن تكون له رواية . وكفاه فضلاً ومنعة كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه في حياته وبعد المنون ، وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم :

١ ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصرَ لمّا ولّى عليهم الأشتر :

أمّا بعد : فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع ، أشدّ على الفجّار من حريق النّار . وهو : مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ ، فإنّه سيفٌ من سيوف الله ، لا كليل الظُبة[1] ولا نابي الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنّه لا يُقدم ولا يُحجم ، ولا يؤخّر ولا يُقدِّم إلّا عن أمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم . الخ .

تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٦١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ .

صورة أُخرى :

رواها الشعبي من طريق صعصعة بن صوحان .

أمّا بعد : فإنّي قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر ، لا ناكلٌ من قدم ، ولا واهٍ في عزم ، مِن أشدّ عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضرّ على الفجّار من حريق النّار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو : مالك بن الحارث الأشتر ، حسامٌ صارمٌ ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحدّ ، حكيمٌ في السِّلم ، رزينٌ في الحرب ، ذو رأي أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا

---

(١) الظبة بتخفيف الموحدة : حدّ السيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأقيموا ، فإنّه لا يُقدم ولا يُحجم إلاّ بأمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم . الخ[١] .

٢ ـ من كتاب للمولى أمير المؤمنين كتبه إلى أميرين من أُمراء جيشه :

وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّزكما مالك بن الحارث الأشتر ، فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجنّاً ، فإنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل .

قال إبن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٤١٧ : فأمّا ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ، ولعمري كان الأشتر أهلاً لذلك ، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً ، وكان يجمع بين اللين والعنف ، فيسطو في موضع السطوة ، ويرفق في موضع الرفق ، ومن كلام عمر : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويّ في غير عُنف ، وليّن في غير ضعف . اهـ .

٣ ـ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر يذكر فيه الأشتر فيقول :

إنّ الرجل الذي كنت ولّيته مصر كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد استكمل أيّامه ، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب .

تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ .

٤ ـ لمّا بلغ عليّاً (أمير المؤمنين) موت الأشتر قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمدلله ربّ العالمين ، اللهمّ إنّي أحتسبه عندك فإنّ موته من مصائب الدهر . ثمّ قال : رحم الله مالكاً فقد كان وفى بعهده ، وقضى نحبه ، ولقي ربّه ، مع أنّا قد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ ، جمهرة الرسائل ج١ ص ٥٤٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وطّنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّها من أعظم المصائب ، قال المغيرة الضبي : لم يزل أمر عليّ شديداً حتّى مات الأشتر[1] .

٥ ـ عن جماعة من أشياخ النخع قالوا : دخلنا على عليّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهّف ويتأسّف عليه ثمّ قال : لله درُّ مالك ، وما مالك ؟ لو كان مِن جبل لكان فِنداً[2] ، ولو كان من حجر لكان صلدا ، أما والله ليهدنّ موتك عالماً ، وليفرحنّ عالماً ، على مثل مالك فليبك البواكي ، وهل موجودٌ كمالك ؟ .

وقال علقمة بن قيس النخعي : فما زال عليٌّ يتلهّف ويتأسّف حتى ظنّنا أنّه المصاب دوننا ، وعرف ذلك في وجهه أيّاماً .

وفي لفظ الشريف الرضي والزبيدي : لو كان جبلاً لكان فنداً ، لا يرتقيه حافر ، ولا يوفي عليه الطائر .

نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ ، لسان العرب ج ٤ ص ٣٣٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، تاج العروس ج ٢ ص ٤٥٤ .

٦ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٤١٦ : كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٧ ـ دسَّ معاوية بن أبي سفيان للأشتر مولى عمر فسقاه شربة سويق فيها سمّ فمات فلمّا بلغ معاوية موته قام خطيباً في النّاس فحمدالله وأثنى عليه وقال : أمّا بعد : فإنّه كانت لعليٍّ بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر ، وقطعت الاخرى اليوم وهو مالك الأشتر . تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) الفند بالكسر : القطعة العظيمة من الجبل .

قال الأميني : ما أجرأ الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور والتبهُّج بموت الأخيار الأبرار بعدما يقتلهم ، ويقطع عن أديم الأرض أُصول بركاتهم ، ويبشِّر بذلك أُمَّته الفئة الباغية ، ويأمرهم بالدعاء عليهم ، ﴿**أُولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾[1] ، ﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب مَن أضلّ سبيلا**﴾[2] ؟ .

٨ ـ وقبل هذه كلّها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دفن أبي ذر سيِّد غفّار من قوله في لفظ الحاكم وأبي نعيم وأبي عمر : ليموتنَّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين . وفي لفظ البلاذري : يلي دفنه رهطٌ صالحون . وقد دفنه مالك الأشتر وأصحابه الكوفيُّون كما في أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٧ ، والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٣٧ ، والإستيعاب لأبي عمر ج ١ ص ٨٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١٦ فقال : هذا الحديث يدلُّ على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهي شهادة قاطعة من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه مؤمن .

قال الأميني : ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف إبن حجر إيّاه في الصواعق ص ٦٨ بالمروق وعدم الفهم والعقل ، ولعنه إيَّاه وأصحابه الصلحاء ، وقد عزب عنه إنَّه لا يلفظ من قول إلّا ولديه رقيبٌ عتيد .

نحن لسنا الآن في صدد التبسُّط في فضائل مالك وتحليل نفسيّاته الكريمة ومآثره الجمّة وإلّا لأريناك منه كتاباً ضخماً ، ولقد ناء بشطر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيِّد محمَّد الرضا آل السيِّد جعفر الحكيم النجفي ، وابن عمِّه السيِّد محمَّد التقي بن السيِّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك ، وقد سبقهما إلى ذلك بعض علمائنا السابقين ، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا عليه السلام بخراسان المشرّفة ، حيّا الله حملة العلم سلفاً وخلفاً .

---

(١) سورة النمل ؛ ٥ .

(٢) سورة الفرقان ؛ ٤٢ .

٢ ـ زيد بن صوحان العبدي الشهير بزيد الخير ، أدرك النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وترجمه أبو عمر وابن الأثير وابن حجر في معاجم الصحابة ، قال أبو عمر : كان فاضلاً ديِّناً سيِّداً في قومه .

أخرج أبو يعلى وابن مندة والخطيب وابن عساكر من طريق عليّ عليه السلام مرفوعاً : مَن سرَّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

وفي حديث آخر : الأقطع الحبر زيد ، زيد رجلٌ من أُمتي تدخل الجنَّة يده قبل بدنه ـ قطعت يده يوم القادسيَّة ـ .

وفي حديث أخرجه ابن مندة وأبو عمر وابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد وما زيد ؟ يسبقه بعض جسده إلى الجنَّة ثمَّ يتبعه سائر جسده إلى الجنَّة .

وأخرج ابن عساكر من طريق الحكم بن عيينة قال : لَمّا أراد زيد أن يركب دابَّته أمسك عمر بركابه ثمَّ قال لمن حضره : هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه .

تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١١ ـ ١٣ ، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٤٠ ، الإستيعاب ج ١ ص ١٩٧ ، أُسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤ ، بهجة المحافل ج ٢ ص ٢٣٧ ، الإصابة ج ١ ص ٥٨٢ .

وفي الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣٥ : قال فيه النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام : زيد الخير الأجذم من الخيار الأبرار .

وفي معارف ابن قتيبة ص ١٧٦ : كان من خيار الناس ، وروي في الحديث أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال : زيد الخير الأجذم ، وجندب ما جندب ؟ فقيل : يا رسول الله ! أتذكر رجلين ؟ فقال : أمَّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنَّة بثلاثين عاماً ، وأمّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحقِّ والباطل ، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده وشهد مع عليّ يوم الجمل فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أراني إلاّ مقتولاً ، قال : وما علمك بهذا يا أبا سليمان ؟ قال : رأيت يدي نزلت من السَّماء وهي تستشيلني . فقتله عمرو بن يثربي وقَتل أخاه سليمان يوم الجمل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٣٩ : كان زيد يقوم الليل ويصوم النهار وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها ، وقال : قُتل يوم الجمل وقال : ادفنوني في ثيابي فإنّي مخاصم . وفي رواية : لا تغسلوا عنّي دماً ولا تنزعوا عنّي ثوباً إلّا الخفين ، وارمسوني الأرض رمساً فإنّي رجلٌ محاجّ . زاد أبو نعيم : أُحاجُّ يوم القيامة .

وفي مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٩ : كان زيد من سادة التابعين صوّاماً قوّاماً . وفي شذرات الذهب ج ١ ص ٤٤ : من خواص عليّ من الصلحاء الأتقياء .

وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث مروج الذهب ج ٢ ص ٧٥ : أمّا زيد وعبد الله (أخوه) فإنّهما نهران جاريان يصبُّ فيهما الخلجان ، ويغاث بهما اللهفان ، رجلاً جدّ لا لعب معهما .

ووصفه أخوه صعصعة لابن عبّاس لمّا قال له : أين أخواك منك زيد وعبدالله ؟ صفهما فقال : كان «زيد» والله يا بن عبّاس عظيم المروّة ، شريف الأُخوّة ، جليل الخطر ، بعيد الأثر ، كميش العروة ، أليف البدوّة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الدهر ، ذاكراً الله طرفي النهار وزلفاً من الليل ، الجوع والشبع عنده سيّان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقلّ في أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكوت ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار . فقال ابن عباس : ما ظنّك برجل من أهل الجنّة ، رحم الله زيداً .

٣ ـ صعصعة بن صوحان العبدي أخو زيد الخير المذكور ، ذكر في معاجم الصحابة قال أبو عمر : كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ لم يلقه ولم يره . كان سيِّداً فصيحاً خطيباً ديِّناً . قال الشعبي : كنت أتعلّم منه الخطب ، وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث : أمّا صعصعة فعظيم الشأن ، عضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق ما فتق ، ويفتق ما رتق ، قليل النظير . وقال ابن الأثير : كان سيِّداً من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحاً خطيباً لسناً ديِّناً فاضلاً يُعدُّ في أصحاب عليّ رضي الله عنه .

له مع عثمان محاورة سيوافيك شيءٌ منها ، ومواقفه مع معاوية ذكرت جملة

منهـا في مروج الـذهب ج ٢ ص ٧٦ ـ ٨٣ ، وتاريـخ ابن عسـاكـر ج ٦ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧ ، وثّقه ابن سعد والنسائي وابن حبّان وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر .

أخـرج ابن شبة أنَّ عمـر بن الخطاب قسَّم المـال الذي بعث إليـه أبو مـوسى وكـان ألف ألف درهم وفضلت منه فضلة فـاختلفوا عليـه حيث يضعها فقـام خطيبـاً فحمدالله وأثنى عليه وقال : أيُّها النـاس قد بقيت لكم فضلة بعـد حقوق النـاس فما تقولون فيها ؟ فقام صعصعة بن صوحان وهو غلامٌ شابٌّ فقـال : يا أميـر المؤمنين ! إنّما تُشاور النـاس فيما لم ينـزل الله فيه قـرآناً ، أمّـا ما أنـزل الله به القـرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها فقال : صدقت أنت منّي وأنـا منك . فقسّمه بين المسلمين .

راجع طبقات ابن سعد ، مروج الذهب ، تاريـخ ابن عساكـر ، الإستيعاب ، أسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، خلاصة الجزري .

٤ ـ جنـدب بن زهير الأزدي ، صحـابيٌّ مترجم لـه في الإستيعـاب ، وأُسـد الغـابـة ، والإصـابـة ولـــه في يـومي الجمـــل وصفّين مـواقف محمـــودة مـع أميـــر المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ كعب بن عبدة ، سمعت فيما مرَّ عن البلاذري أنَّه كان ناسكاً .

٦ ـ عدي بن حاتم الطائي ، صحابيٌ عـظيمٌ قدم على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ٧ لم يختلف إثنـان في ثقته أخـرج حديثـه أئمّة الصحـاح الستّ ، وقـد أثنى عليـه عمـر بن الخطاب لمّـا قال لـه : يا أميـر المؤمنين أتعـرفني ؟ فقـال : نعم والله إنّي لأعرفك ، أكرمك الله بـأحسن المعرفـة ، أعرفـك والله آمنت إذ كفروا ، وعـرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، وإنَّ أوَّل صدقة بيَّضت وجه رسـول الله صلى الله عليه وآله ووجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . ثمَّ أخذ يعتذر .

أخـرجه أحمـد في المسند ج ١ ص ٤٥ ، وابن سعـد في الطبقـات ، ومسلم في صحيحـه ، وأبو عمـر في الإستيعاب ، والخـطيب في تاريخـه ، وابن الأثير في أسد الغابة وفيه : إنَّه كان منحرفاً عن عثمان ، وابن حجر في تهـذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب ما أخرجه في ج ١ ص ١٩١ بالإسناد عن المغيرة قال : خرج عدي بن حاتم ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا (قرقيساء) وقالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان .

والصَّواب : يُشتم فيه عليٌّ . فبدِّلت يد التحريف عليّاً بعثمان وذكره على علاّته ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٧ .

توجد ترجمة عدي في الإستيعاب ، تاريخ بغداد ج ١ ، أُسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب .

٧ ـ مالك بن حبيب . له إدراكٌ عُدَّ من الصحابة .

٨ ـ يزيد بن قيس الأرحبي . له إدراكٌ وكان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس ولمّا ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قرّاء الكوفة وأمّروه ، وكان مع عليّ في حروبه وولاّه شرطته ثمّ ولاّه اصبهان والري وهمذان وهو المعنيُّ في قول ثمامة :

معاوي إن لا تُسرع السير نحونا فبايع عليّاً أو يزيد اليمانيا

وله يوم صفِّين مواقف وخطابات تُعرب عن نفسيّاته الكريمة وملكاته الفاضلة ، تُذكر وتُشكر ، ذكر جملة منها إبن مزاحم في كتاب صفِّين ، والطبري في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل ، وممّا ذكروه قوله :

إنَّ المسلم السليم من سلم دينه ورأيه ، إنَّ هؤلاء القوم ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيَّعناه ، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه ، ولا يقاتلونا إلاّ على إقامة الدنيا ، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً ، فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ـ إذاً ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبيدالله بن عامر السفيه ، يحدِّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت ، ويأخذ مال الله ويقول : هذا لي ولا إثم عليَّ فيه ، كأنّما أُعطي تراثه من أبيه ، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا ، عباد الله ! القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم ، إنَّهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرَّبتم ،

والله ما أرادوا إلى هذا إلاّ شراً ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم[١] .

٩ ـ عمرو بن الحمق[٢] بن حبيب الخزاعي الكعبي . صحب النبيَّ الأعظم وحفظ عنه أحاديث ، وحظي بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم له لمّا سقاه لبناً وبقوله : اللهمَّ أمتعه بشبابه فاستكمل الثمانين من عمره ولم يرَ شعرة بيضاء[٣] أخرج حديثه البخاري في التعاليق ، وابن ماجة والنسائي وغيرهم ، وكان من أعوان حُجر بن عدي سلام الله عليه وعليهم ، ترجمه أبو عمر في الإستيعاب ، وابن الأثير في أُسد الغابة ، وابن حجر في الإصابة ، ولم أجد كلمة غمز لأيٍّ أحد فيه مع قولهم : كان ممَّن سار إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا وصار بعد ذلك من شيعة عليّ . وقولهم : إنَّه كان ممَّن قام على عثمان . وقولهم : كان أحد من ألَّب على عثمان .

وله يوم صفين مواقف مشكورة وكلم قيِّمة خالدة مع الأبد تُعرب عن إيمانه الخالص ، وروحه النزيهة الطاهرة ، راجع كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤ ، ٥٥١ .

قال إبن الأثير في أُسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ : قبره مشهورٌ بظاهر الموصل يزار ، وعليه مشهدٌ كبير ابتدأ بعمارته أبو عبدالله سعيد بن حمدان ـ وهو إبن عمّ سيف الدولة وناصر الدولة ابني حمدان ـ في شعبان من سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، وجرى بين السنَّة والشيعة فتنة بسبب عمارته .

١٠ ـ عروة بن الجعد ، ويقال : أبي الجعد البارقي الأزدي ، صحابيٌّ مرضيٌّ مترجم له في معاجم الصحابة : الإستيعاب ، أُسد الغابة ، الإصابة . روى حديث : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم . قال شبيب بن غرفدة : رأيت في دار عروة سبعين فرساً رغبة في رباط الخيل[٤] أخرج

(١) كتاب صفين ص ٢٧٩ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٥ ، الاصابة ج ٣ ص ٦٧٥ .

(٢) بفتح المهملة وكسر الميم .

(٣) اسد الغابة ج ٤ ص ١٠٠ ، الاصابة ج ٢ ص ٥٣٣ .

(٤) صحيح البخاري في المناقب باب قول الله تعالى : ﴿يعرفونه كما يعرفون أبنائهم﴾ .

حديثه أئمة الصحاح الستّ فيها .

١١ ـ أصعر بن قيس بن الحارث الحارثي : له إدراكٌ ذكره ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١٠٩ .

١٢ ـ كميل بن زياد النخعي ، كان شريفاً في قومه قتله الحجّاج سنة ٤٢ ، وثّقه ابن سعد ، وابن معين ، والعجلي ، وابن عمّار ، وذكره ابن حبّان في الثقات[1] .

١٣ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ، من رواة الصحاح الأربعة من الستة قال ابن معين : ثقة . وقال إبن أبي داود : كان أفقه الناس ، وأحسب الناس ، وأفرض الناس ، تعلّم الفرائض من عليّ قال ابن أبي خيثمة : قيل ليحيى : يُحتجُّ بالحارث ؟ فقال : ما زال المحدِّثون يقبلون حديثه . وقال أحمد بن صالح المصري : ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن عليّ وأثنى عليه . ووثّقه ابن سعد .

وهناك مَن كذّبه والعمدة في ذلك الشعبي . قال إبن عبد البرّ في كتاب العلم : أظنُّ الشعبي عوقب بقوله في الحارث : كذّابٌ ، ولم يبن من الحارث كذبه ، وإنّما نقم عليه إفراطه في حبِّ عليّ .

وقال أحمد بن صالح : لم يكن الحارث يكذب في الحديث، إنّما كان كذبه في رأيه .

وقال الذهبي : والنسائي مع تعنُّته في الرجال قد احتجَّ به والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب .

[تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٧]

فمحصَّل القول في الهمداني : انّه لا مغمز فيه غير نزعته العلويَّة الممدوحة عند الله وعند رسوله .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٤ ـ تسيير الخليفة كعب بن عَبدة وضربه :

كتب جماعةٌ من القرّاء إلى عثمان منهم مَعقل بن قيس الرياحي ، وعبدالله بن الطفيل العامري ، ومالك بن حبيب التميمي ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وحجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ويُكنَّى أبا مطرف ، والمسيِّب بن نجبة الفزاري ، وزيد بن حصن الطائي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وزياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديّان الحارثي ، ومسلمة بن عبد القاري من القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة .

إنَّ سعيداً كثَّر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على ما لا يحلُّ في دين ولا يحسن في سماع ، وإنّا نُذكرك الله في أُمَّة محمَّد ، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك ، لأنَّك قد حملت بني أبيك على رقابهم ، واعلم أنَّ لك ناصراً ظالماً ، وناقماً عليك مظلوماً ، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نُشهد عليك الله وكفى به شهيداً ، فإنَّك أميرنا ما أطعت الله واستقمت ، ولن تجد دون الله مُلتحداً ولا عنه مُنتقذاً .

ولم يُسمِّ أحدٌ منهم نفسه في الكتاب وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنَّى أبا ربيعة وكتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمَّى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة ، فلمّا قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره فأراد ضربه وحبسه فمنعه عليٌّ من ذلك وقال : إنّما هو رسول أدَّى ما حُمل ، وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ، ويحوِّل ديوانه إلى الري . ففعل ثمَّ إنَّ عثمان تحوَّب وندم فكتب في إشخاصه إليه ففعل فلمَّا ورد عليه قال له : إنّه كانت منِّي طيرة ثمَّ نزع ثيابه وألقى إليه سوطاً وقال : إقتص ، فقال : قد عفوت يا أمير المؤمنين ! .

ويقال : إنَّ عثمان لمّا قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه فأشخصه إليه مع رجل أعرابيّ من أعراب بني أسد فلمّا رأى الأعرابيُّ صلاته وعرف نسكه وفضله قال :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليت حـظّي من مسيـري بكـعب عـفـوه عـنّي وغـفـران ذنـبي

فلمّا قدم به على عثمان قـال عثمان : لأن تسمـع بالمعيـديّ خيرٌ من أن تـراه وكان شابّاً حديث السنّ نحيفـاً ثمّ أقبل عليـه فقال : أأنت تعلّمني الحقّ وقـد قرأت كتـاب الله وأنت في صلب رجل مشـرك ؟ فقال لـه كعب : إنّ إمـارة المؤمنين إنّمـا كانت لك بما أوجبته الشورى حين عاهـدت الله على نفسك في (أن) تسيـرن بسيرة نبيّه ، لا تقصّر عنها وإن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك ، يا عثمان ! إنّ كتاب الله لمن بلغه وقرأه وقد شركناك في قراءته، ومتى لم يعمل القـارىء بما فيـه كان حجّـة عليه . فقال عثمان : والله ما أظنّك تدري أين ربُّك ؟ فقال : هو بالمرصاد . فقـال مروان : حلمك أغرى مثل هذا بك وجرّأه عليك . فأمر عثمان بكعب فجرّد وضُرب عشرين سوطـاً ، وسيّره إلى دُبـاوند[1] ويقـال : إلى جبل الـدخان ، فلمّـا ورد على سعيد حمله مع بكير بن حمران الأحمري فقـال الدهقـان الذي ورد عليه : لِمَ فُعل بهـذا الرجـل ما أرى ؟ قـال بكير : لأنّـه شريـرٌ فقال : إنّ قـومـاً هـذا من شـرارهم لخيار .

ثمّ إنّ طلحة والزبير وبّخا عثمان في أمر كعب وغيـره وقال طلحـة : عند غبّ الصدر يحمد عاقبة الورد . فكتب في ردّ كعب رضي الله عنه وحمله إليـه فلمّا قـدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب ! إقتص . فعفا رضي الله عنهم أجمعين[2] .

وعدّ الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٧ من جملة مـا انتقم به عـلى عثمـان : انّه ضرب كعب بـن عبدة عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال .

قـال الأميني : ألا تعجب في أمر هـذا الخليفة أنّ منـاوئيه كلّهم في عـاصمـة الخلافة وبقيّة الأوساط الإسلاميّة خيار البلاد وصلحـاء الامّة ؟ كمـا أنّ من اكتنف به وأغـراه بالأبـرار هم المتهتّكون في الـدين ، المفضوحـون بالسمعـة الشائنـة ، رُوّاد الشرّه ، وسماسرة المطامـع ، من طُغمة الأمـويّين ومَن يقتصّ أثرهم ، فـلا ترى لـه

(١) بفتح المهملة وتضم ويقال : دنباوند ، ودماوند بالميم بدل الموحّدة : كورة من كور الريّ .

(٢) انساب البلاذري ج ٥ ص ٤١ ـ ٤٣ ، تاريخ الطبـري ج ٥ ص ١٣٧ ، الـرياض النضـرة ج ٢ ص ١٤٠ ـ ١٤٩ ، شـرح ابن أبي الحـديـد ج ١ ص ١٦٨ ، الصـواعق ص ٦٨ ، واللفظ للبلاذري .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سوط عذاب يُرفع إلاّ وكان مصبُّه أُولئك الصالحون ، كما أنّك لا تجد جميلاً له يُسدى ولا يداً موفورة إلاّ لأولئك الساقطين ، فهل بُعث الخليفة (وهو رحمة للعالمين) نقمةً على المؤمنين ؟ أم ماذا كانت حقيقة الأمر ؟ أنا لا أدري لماذا أسخط الخليفة كتاب القوم فأراد بحامله السوء من حبس وضرب بعد يأسه عن معرفة كاتبيه لولا أنَّ عليّاً أمير المؤمنين حال بينه وبين ما يشتهيه ، وهل كان الرجل إلاّ وسيطاً كلّف بالرسالة فأدّاها ؟ ولعلّه لم يكن يعلم ما فيها ، وليس في الكتاب إلاّ التذكير بالله ، والتحذير عمّا يوجب تفريق الكلمة ، وإقلاق السَّلام ، وإظهار الطاعة بشرط طاعة الله والإستقامة الذي هو مأخوذٌ في الخليفة قبل كلِّ شيء (وعليه جرى انتخابه يوم الشورى) وايقافه على مكان سعيد الشابِّ الغِرِّ من السعاية التي خافوا أن تكون وبالاً عليه ، وبالأخير وقع ما خافوا منه وحذَّروا الخليفة عنه ، والشهادة لاولئك المنفيِّين بالبراءة ممّا نُبزوا به وأنَّهم من أهل الورع والفضل والعفاف ، وانَّ تسييرهم لا يحلُّ في دين الله ، ويشوِّه سمعة الخليفة .

ولماذا أغضبه كتاب كعب ؟ وهو بطبع الحال لدة ما كتبه القوم من النصح الجميل . ولماذ أمر بإشخاصه إلى المدينة وضربه وجازاه على نصحه بجزاء سنمار ؟

فهلاّ انبعث الخليفة إلى التفاهم مع القوم فيما أظهروا أنَّهم يتحرُّون ما فيه صلاحه وصلاح الأُمَّة ؟ فإمّا أن يُقنعهم بما عنده ، أو يقتنع بما يبدونه ، فيرتفع ذلك الحوار ، وتُدفع عنه المثلات ، لكنَّه أبى إلاّ أن يستمرَّ على ما ارتآه وحبَّذه له المحتفُّون به الذين اتَّخذوه قنطرة إلى شهواتهم ، ولذلك لم يتفاهم مع كعب إلاّ بالغلظة فقال له : أأنت تعلّمني . الخ . أنا لا أدري موقع هذا الكلام التافه ، هل الكون في صُلب رجل مشرك يحطّ من كرامة الإنسان وقد آمن بالله ورسوله ؟ إذن لتسرَّب النقص إلى الصحابة الذين نقلوا من أصلاب المشركين وارتكضوا في أرحام المشركات ، وكثير منهم أشركوا بالله قبل إسلامهم ، لكن الإسلام يجبُّ ما قبله ، وهل الأصلاب والأرحام إلاّ أوعية ؟

ثمَّ السبق إلى قرّاء الكتاب العزيز هل هو بمجرَّده يرفع من قدر الرجل حتى إذا لم يعمل به كما أجاب به وفصّله كعب ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا أدري ما يريد الخليفة بقوله : والله ما أظنّك تدري أين ربُّك . هل هو يريد المكان ؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، وأيّ مسلم لا يعرف أنَّ ربَّه لا يُقلّه حيِّزٌ ، فإنَّه حريٌّ بالسقوط ، وما أحسن جواب كعب من قوله : هو بالمرصاد ، فإن كان يريد مثل ما قاله كعب فلماذا احتمل انَّ مثل كعب الموصوف بالفضيلة والتقوى لا يعرف ذلك ؟ وهل يريد عندئذٍ إلاّ إهانة الرجل وهتكه ؟ .

ثمَّ ماذا كان في هذه المحاورة حتى عدَّ مروان سكوت الخليفة عنه من الحلم وكلام كعب من الجرأة وثوَّر الخليفة على الرجل ؟ وهنالك انفجر بركان غضبه فأمر به فجرّد وضُرب وسُيِّر ، وعوقب لنصحه وصلاحه ، ولا حول ولا قوَّة إلاّ بالله العليِّ العظيم .

لقد أراد القوم أن يزحزحوا التبعة عن عثمان فاختلق كلٌّ شيئاً من غير تواطؤ بينهم حتى يفتعلوا أمراً واحداً ، ففي ذيل هذه الرواية أنَّ الخليفة ندم على ما فعل وتاب بعد توبيخ طلحة والزبير إيّاه واستعفى الرجل فعفى عنه ، ولم يعلم المتقوِّل أنَّ خليفةً لا يملك طيشه حيث لا موجب له لا يُؤْتمن على دين ولا دنيا ، فإنَّ من الممكن عندئذ أن يقتحم المهالك حيث لا مُوبِّخ فيستمرّ عليها فيهلك ويُهلك ، وإنَّ ممّا قاله الخليفة نفسه يوم الدار عن الثائرين عليه : إنَّهم يخيِّروني إحدى ثلاث : إمّا يقيدونني بكلِّ رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء ، فقلت لهم : أمّا إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطىء وتصيب فلم يُستقد من أحد منهم . الخ . وهذه الكلمة تعطينا أنَّه ما كان يتنازل للإقادة حتى في أحرج ساعاته المشارفة لقتله ، فكيف بآونة السِّعة وساعة المقدرة ؟ فما يزعمه هذا الناحت لذيل الرواية من أنَّه تنازل لكعب لأنْ يقيده بنفسه لا يكاد يلائم مع هذه النفسيَّة ، ولو كان فعل شيئاً من ذلك لتشبَّث به في ذلك المأزق الحرج .

وهناك روايةٌ أُخرى جاء بها الطبري من طريق السري الكذّاب المتروك عن شعيب المجهول عن سيف الوضّاع المرميِّ بالزندقة المتَّفق على ضعفه[1] عن

---

(١) راجع ما مرّ في ج ٨ ص ١١١، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٧٧ ـ ٣٨٤ من كلمات الحفاظ حول رجال الاسناد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمَّد وطلحة انَّ كعباً كان يعالج نيرنجاً[١] فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقرَّ به فأوجعه، فدعا به فسأله فقال : إنَّما هو رفقٌ وأمرٌ يُعجب منه فأمر به فعزِّر وأخبر النّاس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنَّه قد جُدَّ بكم فعليكم بالجدِّ وإيّاكم والهزال فكان النّاس عليه وتعجَّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره فغضب فنفر في الذين نفروا فضرب معهم فكتب إلى عثمان فيه ، فلمّا سُيِّر إلى الشام مَن سُيّر سُيّر كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبدالله وكان دينه كدينه إلى دُنباوند لأنَّها أرض سَحرة فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد .

لعمري لئن طرّدتني ما إلى التي ... طمعت بها من سقطتي لسبيل
رجوت رجوعي يابن أروى ورجعتي ... إلى الحقِّ دهراً غال ذلك غول
وإنَّ اغترابي في البلاد وجفوتي ... وشتمي في ذات الإلّه قليل
وإنَّ دعائي كلَّ يوم وليلة ... عليك بدُنباوندكم لطويل

فلمّا ولّى سعيد أقفله وأحسن إليه واستصلحه فكفره فلم يزدد إلّا فساداً[٢] شوَّه الطبري صحيفة تاريخه بمكاتبات السري وقد أسلفنا في الجزء الثامن أنَّها موضوعةٌ كلّها ، اختلق الرجل في كلّ ما ينتقد به عثمان رواية تظهر فيها لوائح الكذب ، يريد بها رفاءً لما هنالك من فتق ، وهو الذي قذف أبا ذر ونظرائه من الصالحين ، غير مكترث لمغبَّة الكذب والإفتراء ، ومن ملامح الكذب في هذه الرواية أنَّ تسيير مَن سُيِّر إلى الشام مِن قرّاء الكوفة ونُسّاكها وضرب كعب إنَّما هو على عهد سعيد بن العاص لا الوليد بن عقبة كما زعمه مختلق الرواية .

وإنَّ كتاب عثمان إلى الوليد لا يصحّ ولم يؤثر في أيّ مِن مدوَّنات التاريخ والسير ولو كان تفرَّد به أُناس يوثق بهم لكان مجالاً للقبول ، لكن الرواية كما قيل :

صحاحهم عن سجاح عن مسيلمة ... عن ابن حيّان والدوسيُّ يمليه
وكلّهم ينتهي إسناد باطله ... إلى عزازيل مُنشيه ومنهيه[٣]

---

(١) النيرج والنيرنج : اخذ كالسحر وليس به .
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٧ .
(٣) البيتان من قصيدة للشريف ابن فلاح الكاظمي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أنَّه يقول فيها : إنَّ وليداً قرأه على رؤوس الأشهاد ، كأنَّه يحاول معذرةً عمّا ارتكب من كعب ، وانَّه كان برضىً من المسلمين ، ولو صحَّت المزعمة لكانت مستفيضة إذ الدواعي كانت متوفّرة على نقلها ، لكنهم لم يسمعوها فلم يروووها ، مضافاً إلى أنَّ المعروف من كعب بن عبدة انَّه كان من نسّاك الكوفة وقرّائها كما سمعته من كلام البلاذري وغيره لا ممَّن يتلهّى بالنيرنجات وأشباهها .

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ صاحب النيرنج ـ لو صدقت الأحلام ـ يُعزَّر ويعاقب ، ومُعاقر الخمور ـ وليد الفجور ـ لا يُحدُّ لشربه الخمر إلاّ بعد نقمة الصحابة على خليفة الوقت من جرّاء ذلك ، ثمَّ يكونُ مقيم الحدّ عليه غيره وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام .

ولم يكن في اولئك المسيّرين مَن يسمّى مالك بن عبدالله وإنّما كان فيهم مالك بن الحارث الأشتر ، ومالك بن حبيب الصحابيّان كما تقدَّم ذكرهما .

وأبيات كعب تناسب أن يخاطب بها عثمان لا الوليد فإنّه هو ابن أروى بنت كريز وفيها صراحة بسبب اغتراب كعب وجفوته وشتمه ، وانَّها كانت في ذات الله ، يقول ذلك بملء فمه ولا يردُّ عليه رادّ بأنّها ليست في ذات الله وإنّما هي لأنَّه كان يعالج نيرنجاً .

هكذا لعبت بالتاريخ يد الأهواء والشّهوات تزلّفاً إلى أُناس وانحيازاً عن آخرين ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

٤٥ ـ تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري الزاهد الناسك إلى الشام :

أخرج الطبري من طريق العلاء بن عبدالله بن زيد العنبري أَنَّهُ قال : إجتمع ناسٌ من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلّمه ويخبره بأحداثه ، فأرسلوا إليه عامر بن عبدالله التميمي ثمَّ العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه فقال له : إنَّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أُموراً عظاماً فاتَّق الله عزَّ وجلَّ وتب إليه وانزع عنها . قال له عثمان : انظر إلى هذا فإنَّ النّاس يزعمون أنَّه

قارىءٌ ثمَّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات فوالله ما يدري أين الله . قال عامر : أنا لا أدري أين الله ؟ قال نعم ، والله ما تدري أين الله . قال عامر : بلى والله إني لأدري إنَّ الله بالمرصاد لك . فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان ، وإلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وإلى سعيد بن العاص ، وإلى عمرو بن العاص ، وإلى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه وما بلغ عنهم فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم : إنَّ لكلِّ امرىء وزراء ونصحاء وانّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي ، وقد صنع النّاس ما قد رأيتم ، وطلبوا إليَّ أن أعزل عمّالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبُّون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليَّ .

فقال له عبدالله بن عامر : رأيي لك يا أمير المؤمنين ! أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمّرهم في المغازي حتّى يذلُّوا لك ، فلا يكون همَّة أحدهم إلاّ نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه .

ثمَّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كنتَ تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف ، واعمل برأيي تصب . قال : وما هو ؟ قال : إنَّ لكلِّ قوم قادة متى تهلك يتفرَّقوا ولا يجتمع لهم أمرٌ . فقال عثمان : إنَّ هذا الرأي لولا ما فيه .

ثمَّ أقبل على معاوية فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى لك يا أمير المؤمنين ! أن تردَّ عمّالك على الكفاية لما قِبَلهم وأنا ضامنٌ لك قِبَلي .

ثمَّ أقبل على عبدالله بن سعد فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى يا أمير المؤمنين ! انَّ النّاس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم .

ثمَّ أقبل على عمرو بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : أرى انَّك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل ، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً .

فقال عثمان : مالك قمل فروك ؟ أهذا الجدّ منك ؟ فأسكت عنه دهراً حتى إذا تفرَّق القوم قال عمرو : لا والله يا أمير المؤمنين ! لأنت أعزُّ عليَّ من ذلك ، ولكن : قد علمت أن سيبلغ النّاس قول كلِّ رجل منّا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بي فاقود إليك خيراً أو أدفع عنك شرّاً .

فردَّ عثمان عمّاله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على مَن قِبَلهم وأمرهم بتجمير النّاس في البعوث ، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاج إليه[1] .

وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥٧ : قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره : كان عامر بن قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز في حمله فحمله فلمّا قدم عليه فرآه وقد أعظم الناس إشخاصه وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده ، ألطفه وأكرمه وردَّه إلى البصرة .

وروى ابن المبارك في الزهد من طريق بلال بن سعد أنَّ عامر بن عبد قيس وُشي به إلى عثمان ، فأمر أن يُنفى إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء وبعث إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله ، فكان يقوم الليل كلّه ويخرج من السحر فلا يعود إلاّ بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها ويشرب من ذلك الماء ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه فقال : لا ارب لي في ذلك .

[الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٨٥]

وذكر ابن قتيبة في المعارف ص ٨٤ و١٩٤ ، وابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١ ، والراغب في المحاضرات ج ٢ ص ٢١٢ جملة ممّا نُقم به على عثمان وعدّوا منه : إنَّه سيَّر عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ، وقال ابن قتيبة : كان خيّراً فاضلاً .

قال الأميني : منظرٌ غريبٌ لعمرك في ذلك اليوم ، أليس من المستغرب أنَّ صلحاء البلاد مضطهدون فيه على بكرة أبيهم ؟ فمن راسفٍ تحت نير الإضطهاد ، ومن معتقل في غيابة الجبِّ ، ومن مغترب يجفل به من منفىً إلى منفى ، ومن منقطع عن العطاء ، ومن ممقوت ينظر إليه شزراً ، ومن مضروب تُدقّ به أضالعه ، إلى

---

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٤٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٠ .

مشتوم يُهتك في الملأ الديني لِماذا ذلك كلّه ؟ لأنّهم غضبوا للحق ، وأنكروا المنكر ، فهلاّ كان في وسع مَن يفعل بهم ذلك إقناعهم بالإقلاع عمّا ينكرونه وفيه رضا الله قبل كلِّ شيء ، ومرضاة رسوله من بعده ، ومرضاة الامَّة جمعاء ، وبه كانت تُدحر عنه المثلات وتخمد الفتن ، وكانت فيه مجلبة للمودَّة ، ومكتسح للقلاقل ، وهو أدعى لجمام النفس ، وسيادة الأمن ، وإزاحة الهرج ، وكان خيراً له من ارتكاب العظائم بالنفي والضرب والشتم والإزعاج والجفوة ، ولو كان الخليفة يرى خطأهم في إنكارهم عليه فإنّه كان في وسعه أن يَعقد لهم محتفلاً للتفاهم ، فإمّا أن يتنازلوا عن بعض ما أرادوا ، أو يتنازل هو عن بعض ما يبتغيه ، أو يتكافئا في التنازل فتقع خيرة الكلِّ على أمر واحد ، وكان عقد هذا المنتدى خيراً له ممّا عقده للنظر في شأن عامر بن عبد قيس ، وجمع خلقاً من أُصول الجور ، وجذوم الفتن ، وجراثيم العيث والفساد ، فروع الشجرة الملعونة ، وهم الذين جرُّوا إليه الويلات بجورهم وفجورهم واستعبادهم الامّة وابتغائهم الغوائل ، وهملجتهم وراء المطامع ، فلم يُسمع منهم في ذلك المجتمع ولا في غيره إلاّ رأي مُستغش ، ونظرية خائن ، أو أفيكة مائن ، أو دسيسة لعين بلسان النبيِّ الأقدس مرَّة بعد أُخرى ، وهو مع ذلك يراهم وزراءه ونصحاءه وأهل ثقته أولا تعجب من خلافة يكون هؤلاء وزراءَها ونصحاءَها و أهل ثقة صاحبها ؟ .

ثمَّ انظر كيف كان التفاهم بين الرجلين : الخليفة وسفير المسلمين إليه ، هذا يذكّره بالتقوى والتوبة إلى الله وينهاه عن ارتكاب العظائم التي استعظمها المسلمون العلماء منهم والقرّاء والنساك وذوو الرأي والمسكة ، والخليفة يعدُّ ما استعظمته الامَّة من المحقّرات ، ثمَّ يهزأ به ويقذفه بقلّة المعرفة مشفوعاً ذلك باليمين كما قذف به كعباً وصعصعة بن صوحان وسمع منهما ما سمعه من عامر لأنَّهم حملة العلم ، والعلم حرفٌ واحد كثَّره الجاهلون .

والأعجب كيف يعير الخليفة إلى سعاية حمران بن أبان أُذناً واعية وقد رآه على الفاحشة هو بنفسه وذلك أنه تزوَّج امرأة في العدَّة فضربه ونفاه إلى البصرة[1]

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩١ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأسرَّ اليه سرّاً فأخبر به عبدالرحمٰن بن عوف ، فغضب عليه عثمان ونفاه[١] وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٥ : كان عثمان وجَّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد فلمّا قدم على عثمان كذب عن الوليد وقرَّظه ثمَّ إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له : الأمر جليل فأخبر مروان عثمان بذلك فغضب على حمران وغرَّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً .

كيف وثق خليفة المسلمين بخبر إنسان هذا شأنه من الفسق والتهوّر والله جلَّ إسمه يقول : ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا ، أن تصيبوا قوماً بجهالة**﴾ . الآية ؟ .

ثمَّ اعجب أنَّ حمران نفاه الخليفة على فسقه وأقطعه داراً لجمع شمله ، والعبد الصالح أبو ذر الغفاري الصادق المصدوق أُجفل إلى الربذة ، وتُرك في البرِّ الأقفر لا يأوي إلى مضرب ، ولا يظلّه خباء ، هذا من هوان الدنيا على الله .

وهل الخليفة عرف عامراً ومكانته في الامّة ومنزلته من الزهد والتقوى ومحلّه من التعبد والنزاهة ، فأصاخ فيه إلى قول الوشاة وأشخصه إلى المدينة مرَّة وسيّره إلى الشام على القتب أُخرى ، وأزرى به وأهانه حين مثُل بين يديه ؟ أو أنّه لم يعرفه ولا شيئاً من فضله ، فوثق بما قالوه ؟ وكان عليه أن يعرفه لمّا علم بسفارته من قِبَل وجهاء البصرة وأهل الحريجة والتقوى ، ذوي الحلوم الراجحة ، والآراء الناضجة ، فإنّهم لا يرسلون طبعاً إلّا من يرضونه في مكانته وعلمه وعقله وتقواه . وهل كان فيما يقوله مغضبة أو أنَّه ما كان يتحرّى صالح الامَّة وصلاح من يسوسها ؟ .

إنَّ من العصيب أن نعترف بأنّه ما كان يعرف عامراً وصلاحه ، فقد كان يسير بذكره الركبان ، وهبَّت بأريج فضله النسائم في الأجواء والأرجاء ، وفي طيّات المعاجم والسير اليوم نماذج من تلكم الشهرة الطائلة عن عامر بين العباد وفي البلاد يوم ألزم نفسه أن يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[٢] فكانوا يعدُّونه من أولياء الله المقرَّبين ، وأوَّل الزهاد الثمانية ، وذكروا له كرامات ومكرمات .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٤ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٩ ، الاصابة ج ٣ ص ٨٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفمن الممكن إذن أن لا يعرفه الخليفة ؟ ولم يكن فيما ينكره إلّا ما أُصفق على إنكاره أهل الحلِّ والعقد يومئذٍ من الصالح العام في الحواضر الإسلاميّة كلّها ، غير أنّهم لم يجدوا كما أنَّ عامراً لم يجد أُذناً مصغية لهتافهم ، فتكافىء دؤوب الخليفة على التصامم ودؤوب القوم على الإنكار حتّى استفحل الخطب ودارت الدوائر .

وهلمّ معي ننظر إلى رواية الضعفاء رواية كذّاب متروك عن مجهول منكر عن وضّاع متّهم بالزندقة متّفق على ضعفه : السري عن شعيب عن سيف بن عمر عن محمَّد وطلحة : إنَّ عثمان سيَّر حمران بن أبان أن تزوَّج امرأة في عدَّتها وفرَّق بينهما وضربه وسيَّره إلى البصرة ، فلمّا أتى عليه ما شاء الله وأتاه عنه الذي يحبُّ ، أذن له فقدم عليه المدينة ومعه قومٌ سعوا بعامر أنَّه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة فألحقه عثمان بمعاوية فلمّا قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل أكلاً عربيّاً ، فعرف أنَّ الرجل مكذوبٌ عليه فعرَّفه معاوية سبب إخراجه فقال : أمّا الجمعة فإني أشهدها في مؤخَّر المسجد ثمَّ أرجع في أوائل الناس ، وأمّا التزويج فإنّي خرجت وأنا يُخطب عليَّ ، وأمّا اللحم فقد رأيت[1] .

أوَ لا تعجب من الذين اتّخذوا هذه الرواية مصدراً في تعذير عثمان عن نفي عامر وإشخاصه وهم يبطلون الرواية في غير هذا المورد بوجود واحد من رجال هذا السند الثلاثة ، لكنّهم يحتجّون بروايتهم جميعاً ها هنا ، وفي كلِّ ما نقم به على عثمان ؟

ثمَّ لننظر فيما وُشي به على الرجل بعد الفراغ من النظرة في حال الواشي وهو حمران المتقدّم ذكره ، هل يوجب شيءٌ منها ذمّاً أو تعزيراً أو تأديباً أو تغريباً ؟ وهل هي من المعاصي المسقطة لمحلِّ الإنسان ؟ أمّا ترك التزويج فلم يثبت حرمته إن لم يكن من باب التشريع وأخذه ديناً ، وإنّما النكاح من المرغَّب فيه ، على أنّه كان لم يزل يخطب لنفسه لكنّه لا يجد من يلائمه في خفّه المؤنة ، أخرج أبو نعيم في

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩١ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٧ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٠ ، اسد الغابة ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحلية ج ٢ ص ٩٠ : إنَّ عامر بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة فقال : إنَّ أمير المؤمنين أمرني أن أسألك مالك لا تزوِّج النساء ؟ قال : ما تركتهنَّ وإنِّي لدائبٌ في الخطبة ، قال : ومالك لا تأكل الجبن ؟ قال : أنا بأرض فيها مجوس فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته . قال : وما يمنعك أن تأتي الامراء ؟ قال : إنَّ لدى أبوابكم طلّاب الحاجات فادعوهم واقضوا حوائجهم ، ودعوا من لا حاجة له إليكم .

وأخرج من طريق أحمد بن حنبل باسناده عن الحسن قال : بعث معاوية إلى عبدالله بن عامر أن انظر عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وامهر عنه من بيت المال ، فأرسل إليه انَّ أمير المؤمنين قد كتب إليَّ وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى مَن شئت وأمهر عنك من بيت المال . قال : أنا في الخطبة دائبٌ . قال : إلى مَن ؟ قال : إلى مَن يقبل مني الفلقة والتمرة .

وهذان الحديثان يكذِّبان ما جاء به السري ، ولو صحَّ ذلك فما وجه هذه المسألة في أيّام معاوية عن تزويج عامر ؟

وأمّا ترك اللحوم فليس من المحرَّم ايضاً وقد جاءت السنّة بتحليلها كلّها من غير ايجاب ، نعم تركها النهائي مكروهٌ إن لم يكن من باب التديّن ، وقد تستدعي المبالغة في الزهادة الذهول عن شؤون الدنيا بأسرها فلا يلتفت صاحبها إلى الملاذّ كلّها ، وكان مع ذلك لعامر عذر ، قال ابن قتيبة في المعارف ص ١٩٤ : وكان سبب تسييره أنَّ حمران بن أبان كتب فيه : انَّه لا يأكل اللحم ، ولا يغشى النساء ، ولا يقبل الأعمال ، فعرض بأنَّه خارجيٌّ ، فكتب عثمان إلى ابن عامر : أن أُدعُ عامراً فإن كانت فيه الخصال فسيِّره فسأله فقال : أمّا اللحم فإنِّي مررت بقصّاب يذبح ولا يذكر إسم الله ، فإذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها ، وأمّا النساء فإنَّ لي عنهنَّ شغلاً ، وأمَّا الأعمال فما أكثر مَن تجدونه سواي . فقال له حمران : لا أكثر الله فينا أمثالك ، فقال له عامر : بل أكثر الله فينا من أمثالك كسّاحين حجّامين .

وأمّا عدم الحضور للجمعة : فقد بيَّن عامر نفسه حقيقته لمعاوية وهو الصَّادق

الأمين على أنَّه كان له أن لا يحضر الجمعة والجماعة إن لم يرَ لمقيمها أهليَّة للإئتمام به ، وليس من المنكر ذلك في حقِّ الولاة الأُمويين يومئذٍ .

وعلى فرض صحَّة الرواية وكون كلّ ممّا نُبزبه حوباً كبيراً فكان من الميسور تحقيق حال الرجل من قِبَل والي البصرة كما وقع ذلك فيما مرَّ من رواية أبي نعيم بالنسبة إلى التزويج وأكل الجبن وإتيان الأُمراء . ولا أدري هل من الفرائض في الشريعة السمحاء أكل الجبن بحيث يوجب تركه التجسُّس والتفتيش ؟ وعلى كلّ فما الموجب لإجفال الرجل العظيم من مستقرِّ أمنه على قتب إلى الشام منفى الثائرين علي الخليفة ؟ وأيُّ عقل يقبل تسييره وتعذيبه لتلك الامور التافهة ؟ نعم : الغريق يتشبَّث بِكلِّ حشيش .

٤٦ ـ تسيير الخليفة عبدالرحمٰن الجمحي :

عُدَّ ممّن سيَّره الخليفة عبدالرحمٰن بن حنبل الجمحي . قال اليعقوبي : سُيِّر عبدالرحمٰن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى القموس[1] من خيبر ، وكان سبب تسييره إيّاه أنَّه بلغه كرهه مساوىء إبنه وخاله وأنَّه هجاه .

وقال العلائي عن مصعب وأبو عمر في الإستيعاب انَّه لمّا أعطى عثمان مروان خمس مائة ألف من خمس أفريقيّة قال عبدالرحمٰن :

وأحلف باللّه جهد اليمين ... ما ترك اللّه أمراً سُدى
ولكن جعلتَ لنا فتنة ... لكي نُبتلى بك أو تُبتلى
دعوت الطريد فأدنيته ... خلافاً لِما سنَّه المصطفى
وولّيت قرباك أمر العباد ... خلافاً لسنَّة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة ... آثرته وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري ... من الفيء أعطيته من دنا
فإنَّ الأمينين قد بيَّنا ... منار الطريق عليه الهدى

---

(١) كذا في لفظ اليعقوبي . وفي الاصابة : الغموص كما في الأنساب . والصحيح : القموص . بالقاف المفتوحة وآخره صاد مهملة .

فـمـا أخـذا درهـمـاً غـيـلة ولا قسّمـا درهمـاً في هـوى[1]

فأمر به فحبس بخيبر ، وأنشد له المرزباني في معجم الشعراء أنّه قال وهو في السجن :

إلى اللّه أشكو لا إلى الناس ما عدا أبا حسن غلاًّ شديداً أُكابده
بخيبر في قعر الغموص كأنّها جوانب قبر أعمق اللحد لاحده
أإن قلتُ حقاً أو نشدتُ أمانة قُتلت ، فمن للحقّ إن مات ناشده ؟

وكتب إلى عليّ وعمّار من الحبس :

أبلغ عليّاً وعمّاراً فإنّهما بمنزل الرشد إنّ الرشد مُبتدر
لا تتركا جاهلاً حتى يوقّره دين الإله وإن هاجت به مُرر
لم يبق لي منه إلاّ السيف إذ علقت حبائل الموت فينا الصّادق البرر
يعلم بأنّي مظلومٌ إذا ذكرت وسط النديّ حجاج القوم والعذر

فلم يزل عليٌّ يكلّم عثمان حتى خلّى سبيله على أنّه لا يساكنه بالمدينة فسيَّره إلى خيبر فأنزله قلعة بها تسمّى «القموص» فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان وساروا إليه من كلّ بلد فقال عبد الرحمٰن :

لولا عليٌّ فإنّ اللّه أنقذني على يديه من الأغلال والصفد
لما رجوت لدى شدّ بجامعة يُمنى يديّ غياث الفوت من أحد
نفسي فداء عليّ إذ يخلّصني من كافر بعد ما أغضى على صمد

كان عبدالرحمٰن مع عليّ في صفّين قال الطبري من طريق عوانة : إنّه جعل ابن حنبل يقول يومئذٍ .

إن تقتلوني فأنا ابن حنبل أنا الذي قد قلت فيكم نعثل

راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٠ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٦ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٩٥ .

قال الأميني : هذا أحد المعذَّبين الذين أقلّتهم غيابة الجبِّ مُصفَّداً بالحديد

(١) قد تنسب هذه الابيات الى أسلم راجع ج ٨ ص ٣٠٠ .

ولم يجهز عليه إلاّ إنكاره المنكر ، وجنوحه إلى الحقِّ المعروف ، والكلام فيه لدة ما كرَّرناه في غير واحد من زملائه الصالحين ، وأحسن ما ينمُّ عن سريرته شعره الطافح بالإيمان .

٤٧ ـ تسيير الخليفة عليّاً أمير المؤمنين :

لعلَّ التبسُّط في البحث عمّا جرى بين عثمان أيّام خلافته وبين عليّ أمير المؤمنين يوجب خدش العواطف ، وينتهي إلى ما يُحمد عقباه ، والتاريخ وإن لم يحفظ منه إلا النزر اليسير غير أنَّ في ذلك القليل غنى وكفاية وبه تُعرف جليَّة الحال ، ونحن نمرُّ به كراماً ، فلا نحوم حول البحث عن كلمه القوارص لعليّ عليه السلام ، البعيدة عن ساحة قدسه النائية عن مكانته الراقية التي لا يُدرك شأوها ، ويقصر دون استكناهها البيان .

أيسع لمن أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالكتاب وبما نزل من آية في سيِّد العترة ، وصدَّق بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبما صدع به من فضائل عليّ عليه السلام ، وجاوره مع ذلك حقباً وأعواماً بيت بيت ، ووقف على نفسيّاته الكريمة وهو على ضمادة من أفعاله وتروكه وشاهد مواقفه المبرورة ومساعيه المشكورة في تدعيم الدين الحنيف ، أيسع لمسلم هذا شأنه أن يخاطب أخا الرسول المطهَّر بلسان الله بقوله : لِمَ لا يشتمك ـ مروان ـ إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه[1] ؟ ومروان طريد رسول الله وابن طريده ولعينه وابن لعينه .

أم بقوله له : والله يا أبا الحسن ! ما أدري أشتهي موتك ؟ أم أشتهي حياتك ؟ فوالله لئن متَّ ما أُحبّ أن أبقى بعدك لغيرك لأنِّي لا أجد منك خلفاً ، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتَّخذك سُلّماً وعضداً ، ويعدّك كهفاً وملجأً ، لا يمنعني منه إلاّ مكانه منك ومكانك منه ، فأنا منك كالإبن العاقِّ من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقّه . إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٦ ؟ .

أم بقوله له . ما أنت بأفضل من عمّار ، وما أنت أقلّ استحقاقاً للنفي منه[2] ؟ .

---

(١) راجع ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٦٠ .

(٢) الفتنة الكبرى ص ١٦٥ .

أم بقوله له : أنت أحقُّ بالنفي من عمّار[١] ؟ .

أم بقوله الغليظ الذي لا يحبُّ المؤرِّخون ذكره ونحن سكتنا عن الإعراب عنه[٢] ؟ .

وبعد هذه كلّها يزحزحه عليه السلام عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويُقلقه من عقر داره ويخرجه إلى ينبُع مرَّة أُخرى قائلاً لابن عبَّاس : قل له فليخرج إلى ماله بالينبُع ، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي .

ألا مُسائل الرجل عمَّا أوجب أولويَّة الإمام الطاهر المنزَّه عن الخطل ، المعصوم من الزلل بالنفي ممَّن نَفاهم من الامَّة الصالحة ؟ أكان بزعمه عليٌّ عليه السلام شيوعيّاً إشتراكيّاً شيخاً كذّاباً كأبي ذر الصَّادق المصدَّق ؟ أم كان عنده دُويبة سوء كإبن مسعود أشبه الناس هدياً ودلاًّ وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان الرجل يراه ابن متكاء ، عاضاً أير أبيه ، طاغياً كذّاباً يجترىء عليه ويُجرّىء عليه الناس كعمّار جِلدة ما بين عيني النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان يحسبه معالجاً نير نجاً ككعب بن عبدة الصالح الناسك ؟

أم كان يراه تاركاً الجبن واللحم والجمعة والتزويج كعامر بن عبد قيس القارىء الزاهد المتعبِّد ؟

أم كان الإمام متكلّماً بألسنة الشياطين غير عاقل ولا ديِّن كصلحاء الكوفة المنفيِّين ؟

حاشا صنو النبيِّ الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهّره الجليل ، واتّخذه نفساً لنبيّه ، واختارهما من بين بريَّته نبيّاً ووصيّاً .

وحاشا اولئك المنفيُّون من الصحابة الأوَّلين الأبرار والتابعين لهم بإحسان عن تلكم الطامات والأفائك والنسب المفتعلة .

---

(١) راجع صفحة ٣٧ من هذا الجزء .

(٢) راجع ج ٨ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣ .

نعم كان يرى الرجل كلاًّ من أُولئك الصفوة البررة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طاغياً إتّخذ عليّاً عليه السلام سُلّماً ويعدّه كهفاً وملجأً يُدافع عنهم بوادر غضب الخليفة ، ويحول بينهم وبين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لِما ركبه من النهابير ، فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقّق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفي من أُولئك الرجال المنفيِّين ، ولولاه لكان يشفي منهم غليله ، ويتسنّى له ما كان يبتغيه من البغي عليهم ، والله يدافع عن الذين آمنوا وإنَّه على نصرهم لقدير .

على أنَّه ليس من المعقول أن يكون من يأوي إلى مولانا أمير المؤمنين وآواه هو طاغياً كما يحسبه هذا الخليفة ، فإنَّه لا يأوي إلى مثله إلاّ الصالح الراشد من المظلومين وهو عليه السلام لا يحمي إلاّ من هو كذلك ، وهو وليُّ المؤمنين ، وأمير البررة ، وقائد الغرّ المحجَّلين ، وإمام المتقين ، وسيِّد المسلمين ، كلّ ذلك نصّاً من الرسول الصّادق الأمين وليتني أدري ممَّ كان يغتمّ عثمان من مكان أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة ؟ ووجوده رحمةٌ ولطفٌ من الله سبحانه وتعالى على الامَّة جمعاء لاسيما في البيئة التي تُقلّه ، يكسح عن أهلها الفساد ، ويكبح جماح المتغلّبين ، ويقف أمام نعرات المتهوِّسين ، ويسير بالناس على المنهج اللاحب سيراً سجحاً .

نعم : يغتمّ به سماسرة النهمة والشرَه فيروقهم بعاده ليهملج كلٌّ منهم إلى غاياته قلق الوضين . وما كان هتاف الناس به يومئذٍ إلاّ لأن يقيم أوَد الجامعة ، ويعدِّل الخطّة العوجاء ، ويقف بهم على المحجَّة الواضحة ، غير أنَّ ذلك الهتاف لا يروق من لا يروقه ذلك كلّه ، فالإغتمام به جنايةٌ على المجتمع الديني ، ووقوفٌ أمام سير الصالح العام .

ولعمر الله انَّ هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته ، وهتكت منه حجاب حرمته وكرامته ، وأطالت عليه ألسنة البذاءة والوقيعة فيه ، وعثمان هو الذي أزرى الإمام في الملأ الديني ، وصغَّره في أعين الناس وجرّأ عليه طغام الأمويِّين وسفلة الأعراب ، فباذأه أبناء أُميَّة وهم على آسال خليفتهم اتَّخذوه أُسوةً وقدوةً في شتيمته وقذيعته وآذوا نبيّهم في أخيه علم الهدى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿إنَّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثماً مبيناً﴾ .

٤٨ ـ آيةٌ نازلةٌ في الخليفة :

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك قالوا : نزل قوله تعالى في سورة النجم ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ : ﴿أفرأيت الذي تولّى ، وأعطى قليلاً وأكدى﴾، ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾[1] . نزلت في عثمان رضي الله عنه كان يتصدَّق وينفق في الخير فقال له أخوه من الرضاعة عبدالله بن أبي سرح : ما هذا الذي تصنع ؟ يوشك أن لا يُبقي لك شيئاً . فقال عثمان : إنَّ لي ذنوباً وخطايا وإنِّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه ، فقال له عبدالله : أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمَّل عنك ذنوبك كلّها . فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة ، فأنزل الله تعالى : ﴿أفرأيت الذي تولّى﴾ . الخ . فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله .

وذكره مجمعٌ من المفسِّرين وفي تفسير النيسابوري : معنى تولّى : ترك المركز يوم أُحد .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٨ ، تفسير القرطبي ج ١٧ ص ١١١ ، الكشاف ج ٣ ص ١٤٦ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ٢٧ ص ٥٠ ، تفسير الشربيني ج ٤ ص ١٢٨ .

قال الأميني : لا غرابة من ابن أبي سرح وقد تشاكلت أحواله يوم كفره وإسلامه وردَّته وزلفته من عثمان على عهد خلافته إن لهج بهذه السخافة التي لا تلائم أيّاً من نواميس العدل . ولكن إن تعجب فعجبٌ قبول عثمان تلكم الخرافة منه ، ومنحه إيّاه ناقته برحلها على أن يحمل عنه ذنوبه ﴿ولا تزروازرةٌ وزر أُخرى﴾

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وطاوس وقتادة والضحّاك : أكدى : انقطع فلا يعطي شيئاً . يقال : البئر أكدت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإشهاده عليه وإمساكه عن الصدقات ، وحسبانه أنَّ ما قاله ذلك الساخر كائنٌ لا محالة ، كأنَّ بيد إبن أبي سرح أزمَّة الحساب، وعنده مقاليد يوم القيامة، وهو الخبير بما يكون فيه ، فأنبأه بأنَّ ذنوبه مُحيت بتلك المبادلة ، أو أنَّ عثمان نفسه كان يعلم الغيب ، فهو يرى أنَّ ما يقوله حميمه حقّ ، وكأنَّه نسي قوله تعالى : ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنَّهم لكاذبون ، وليحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليُسألنَّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون**﴾[١] وقوله تعالى : ﴿**مَن يعمل سوءاً يُجز به ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً**﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿**فمَن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ومَن يعمل مثقال ذرَّة شرّاً يره**﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿**كلُّ نفس بما كسبت رهينة**﴾[٤] ﴿**ومن يكسب إثماً فإنَّما يكسبه على نفسه**﴾[٥] ﴿**اليوم تُجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم**﴾[٦] ﴿**ولتجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون**﴾[٧] إلى آي كثيرة من أمثالها وهي كلّها تقرِّر حكم العقل بقبح أخذ أيِّ أحد بجريمة غيره .

والعدل يحكم بأنَّ إبن أبي سرح وهو مثال المآثم والمخازي إن حُمّل إثماً مِن جرّاء قولته هذه فإنَّما هو جرأته على الله تعالى وتصغيره عظمة نيران القسط الإلّهي ونهيه عن الصدقة لا ما سبق لعثمان إقترافه من السيّئات ، لكن هلمَّ معي إلى ضؤولة عقل مَن يصدّق تلكم المهزأة ، ويرتِّب عليها آثاراً عمليَّة حتّى نـدَّد به الذكر الحكيم .

وهب أنّا غاضينا الراوي على عود الرجل إلى ما كان بعد نزول الآية الكريمة ، لكن ذلك لا يُجديه نفعاً يُزيح عنه وصمة ضعف الرأي وقوَّة الرعونة فيه ،

---

(١) سورة العنكبوت ؛ الآيتان : ١٢ ، ١٣ .
(٢) سورة النساء ؛ الآية : ١٢٣ .
(٣) سورة الزلزلة ؛ الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٤) سورة المدثر ؛ الآية : ٣٨١ .
(٥) سورة النساء ؛ الآية : ١١١ .
(٦) سورة غافر ؛ الآية : ١٧ .
(٧) سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نعم : كان يُجديه لو لم يعبأ بتلكم الضلالة ، أو أنَّه عدل عنها بقوَّة التفكير لا بتوبيخ الوحي الإلّهي ، وليته لم يعدل فإنَّه عدل إلى ما عرفت من سيرته في الصدقات ، وجاء يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع .

٤٩ ـ الخليفة لا يعرف المخلص من النَّار :

أخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٥٨ من طريق أحمد بن محمَّد أبي عليّ بن مكحول البيروتي قال : مرَّ عمر على عثمان بن عفّان فسلّم عليه فلم يردّ عليه السلام فجاء عمر إلى أبي بكر الصدِّيق فقال : يا خليفة رسول الله ! ألا أُخبرك بمصيبة نزلت بنا من بعد رسول الله ؟ قال : وما هي ؟ قال : مررت على عثمان فسلّمت عليه فلم يردّ عليَّ السَّلام . فقال أبو بكر : أوَ كان ذلك ؟ قال : نعم . فأخذ بيده وجاء إلى عثمان فسلّما عليه فردَّ عليهما السَّلام . فقال أبو بكر : جاءك عمر فسلّم عليك فلم تردَّ عليه ؟ فقال : والله يا خليفة رسول الله ! ما رأيته . قال : وفي أيِّ شيء كانت فكرتك؟ قال : كنت مفكّراً في رسول الله ﷺ فارقناه ولم نسأله : كيف الخلاص والمخلص من النّار ؟ فقال أبو بكر : والله لقد سألت رسول الله ﷺ فأخبرني فقال عثمان : ففرّج عنّا قال أبو بكر : قال رسول الله ﷺ : تمسَّكوا بالعروة الوثقى قول لا إلّه إلّا الله .

قال الأميني : أكان في أُذن الرجل وقرٌ على عهد النبوَّة عمّا كان يتهالك دونه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويهتف به آناء الليل وأطراف النهار منذ بدء البعثة إلى أن لقي ربَّه من الإشادة بكلمة التوحيد ، وانَّ الإخلاص بها هو المنقذ الفذّ ، والسبب الوحيد للنجاة من الهلكة التي من ورائها النار ، وأنَّ ﴿**من يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾[١] ﴿**فمَن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾[٢] ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصّالحات أُولئك أصحاب الجنَّة**﴾[٣] و﴿**إنَّه مَن يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنَّة ومأواه النّار**﴾[٤] .

(١) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٢ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٢ .
(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٧٢ .

ألم يك يسمع نداءه ﷺ : قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا؟[١] .

وقوله : مَن شهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمَّداً رسول الله ، حرّم الله عليه النار .

وقوله : مَن قال : لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنَّة .

وقوله : ما مِن أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، صدقاً من قلبه إلاّ حرَّمه الله على النّار .

وقوله : إنِّي لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه فيموت على ذلك إلاّ حرِّم على النّار : لا إله إلاّ الله . إلى أحاديث كثيرة جمع جملة ضافية منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦٤ .

أو أنَّ الرجل كان يسمع هذه الكلمات الذهبيَّة ، لكنَّه لا يعيرها أُذناً واعية فنسيها ؟ فإن كان لم يعِ هذه وهي أساس الدعوة فما الذي وعاه ؟ وما الذي تعقّله من نبيّ جاء وذهب ولم يعرِّف ما هو المخلص من النّار ؟ ولم يبعث إلاّ لانتشال أُمّته منها ، وفي يده كتابه الكريم فيه تبيان كلّ شيء ، وأيّ نبيّ كان يحسبه عثمان ، نبيّ العظمة ؟ وعلى أيِّ أساس علا صُروح إسلامه ؟ وأيّ مسلم هذا يدرك أيّام دعوة نبيِّه كلّها ثمَّ يدركه ﷺ الموت ولم يعرف المسكين بعدُ ما ينجيه من النّار ؟ نعم : لم يأل نبيُّ الإسلام في تنوير سبل السّلام ، وإنقاذ البشر من النّار ، فماذا عليه إن لم تصادفه نفسٌ صاغية إلى تعاليمه فلم تحفظها ؟ .

٥٠ ـ ترك الخليفة التكبير في كلِّ خفض ورفع :

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال : صلّيت خلف عليّ صلاة ذكّرني صلاة صلّيتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين قال : فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبِّر كلّما سجد وكلّما رفع رأسه من الركوع فقلت : يا أبا نجيد مَن أوّل مَن تركه ؟ قال : عثمان رضي الله عنه حين كبر وضعف صوته تركه[٢] .

---

(١) تاريخ البخاري ج ٤ القسم الثاني ص ١٤ .

(٢) مسند احمد ج ٤ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الأميني : سيوافيك البحث الضافي في الجزء العاشر إن شاء الله تعالى حول التكبيرة في الصَّلاة عند كلِّ رفع وخفض وانَّها سنّة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسالمت عليها الامَّة ، وعمل بها الصحابة ، واستقرَّ عليها إجماع أئمَّة المذاهب ، وهذا الحديث يعطينا خُبراً بأنَّ أوَّل مَن تركها هو عثمان وتبعه معاوية وبنو أُميَّة ، وما زال الناس على هذا المزن وتمرَّنت عليه الامّة طوعاً أو كرهاً حتّى ضاعت السنّة الثابتة ونُسيت ، وكان مَن جاء بها يُعدُّ أحمقاً كأنَّه ارتكب بأمرٍ شاذّ عن الشرع المقدَّس ، والتبعة في ذلك كلّه على الخليفة البادي بترك سنَّة الله التي لا تبديل لها . قال الزرقاني في شرح الموطّأ ج ٢ ص ١٤٥ : ولأحمد عن عمران : أوَّل من ترك التكبير عثمان حين كبر ، وللطبري عن أبي هريرة : أوَّل مَن ترك معاوية ، ولأبي عبيد : أوَّل من تركه زياد . ولا ينافي ما قبله لأنَّ زياداً تركه بترك معاوية ، وكأنّه تركه بترك عثمان وقد حمله جماعةٌ من العلماء على الإخفاء . هـ .

وتبرير عمل عثمان بالحمل على الإخفاء يأباه صريح لفظ ترك . وإنَّما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهويِّ والإنتصاب لا عن جهره به ، والسائل إنَّما يسأله عن أوَّل مَن تركه لا عمّن خافت به أوَّلاً ، ويزيِّفه ما يأتي عن ابن حجر والشوكاني وغيرهما من قولهم كما سمعت عن الزرقاني : كان معاوية تركه بترك عثمان . ولم يؤثر عن معاوية غير الترك والتنقيص كما يأتي حديثه بلفظ نقص ، وقد اتّبع أثر عثمان في أُحدوثته فإلى الملتقى .

نتاج البحث :

هذه نُبذٌ قليلةٌ نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كشحاً عن ذكر مهمّات ما جرى في ذلك العهد المشحون بالقلاقل ، الطافح بالفتن ، المفعم بالهنابث ، وقد عرفناه جانياً بسترتلكم الحقائق ، جنوحاً إلى العاطفة ، سائراً مع الميول ، والتاريخ حرٌّ يجب أن يمضي مع الواقع وأن لا يلويه مع القصد تعصبٌ لأحد أو تحيّزٌ إلى فئة ، لكن القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم ، فطفقوا يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويُثبتون ما يوافق هواهم ، ويدّعون مالا يروقهم .

قال الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٠٨ : إنَّ الواقدي ذكر في سبب مسير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصريِّين إلى عثمان ونزولهم ذا خُشب اموراً كثيرة ، منها ما تقدَّم ذكره ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منِّي ذكره لبشاعته .

وقال في ج ٥ ص ١١٣ : قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه انَّهم جعلوها ذريعةً إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها .

وقال في ص ٢٣٢ : إنَّ محمَّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لمَّا ولي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيها ممّا لا يتحمَّل سماعها العامَّة .

ومرَّ في ج ٨ ص ٣٥٥ في ذكر ما جرى بين عليّ عليه السلام وعثمان قول المسعودي : فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أُحبُّ ذكره وأجابه عليٌّ بمثله .

وقال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٧٠ : قد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعةً إلى قتله لعلل دعت إلى ذلك .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٦ : وفي هذه السنة (يعني ٣٣) سيَّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام وإلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله رضي الله عنه فكان هؤلاء ممّن يؤلِّب عليه ويُمالىء الأعداء في الحطِّ والكلام فيه وهم الظالمون في ذلك ، وهو البارُّ الراشد رضي الله عنه .

وقال في ص ١٧٧ : جرت أُمورٌ سنورد منها ما تيسَّر وبالله المستعان . ثمَّ ذكر من الأُمور ما راقه ويُلائم ذوقه ولم يذكر إلاّ سلسلة أكاذيب لم يصحّ شيءٌ منها .

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون ج ١ ص ٥ : أمّا نحن فلا يُطلب منّا أن نبدي رأينا في عثمان ، فهو صحابيٌّ عظيمٌ وله أثره الخالد في جمع القرآن وغير القرآن وله دينه السمح الذي لا تشوبه شائبة ، وما كان الدين ليحتّم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر التقشّف والزهد ، ولا يُطلب منّا أن نثبت ضعف الحكومة العثمانيَّة ، وإنّما يُطلب منّا أنّ نسرد الحوادث بإيجاز ، ولنا في تسلسل هذه الحوادث ودراستها وتقييد آثارها ما قد يسمح لنا بالتعرُّض له حين معالجتنا الكلام عن عصرنا فيما بعد (اهـ) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمَّ ذكر ما جاء به اليعقوبي من الإيعاز إلى بعض ما نُقم به على عثمان فتخلّص عن البحث فيه بما أتى به إبن الأثير من رواية الطبري عن السري الكذّاب عن شعيب المجهول عن سيف المتروك الساقط المتّهم بالزندقة أو عن أُناس آخرين أمثال هؤلاء .

أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلَّفة قديماً وحديثاً فإنّها أُلّفت بيد أثيمة على ودائع العلم والدين ، ولعلَّ في المذكور في كتابنا هذا وهو قليلٌ من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيّات الخليفة من شتّى نواحيه ، ومبلغه من العلم ، ومقداره من التقوى ، ومداه من الرأي ، ومآثره من ناحية ملكاته ، وقد عرف كلَّ ذلك مَن عاصره وعاشره ، فكانت كلمتهم في حقّه واحدة ، ورأيهم فيه فذّاً ، وأعمالهم معه كلٌّ يشبه الآخر ، ونحن نذكر لك نماذج ممّا لُفظ به من قول وعُمل به من فعل في ذلك الدور القاتم بالفجائع والفظائع فدونكها :

١ ـ حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :

١ ـ من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان : لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير أنَّ من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله مَن أنا خيرٌ منه ، ومَن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ منّي ، وأنا جامعٌ لكم أمره : إستأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكمٌ واقعٌ في المستأثر والجازع[1] .

قال إبن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ١٥٨ : قوله : غير أنَّ مَن نصره . معناه إنَّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه ، لأنَّ الذين نصروه كان أكثرهم فسّاقاً كمروان بن الحكم وأضرابه ، وخذله المهاجرون والأنصار .

٢ ـ من كلام له عليه السلام قاله لابن عبّاس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصورٌ يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع فقال عليه السلام :

يا بن عبّاس ! ما يريد عثمان إلاّ أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب[2] أُقبل

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦ .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه . الغرب : الدلو العظيمة .

وأُدبر بعث إليَّ أن أخرج ثمَّ بعث إليَّ أن أقدم ،ثمَّ هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج ، والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً[١] .

٣ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٩٨ من طريق أبي حادة أنَّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول وهو يخطب فذكر عثمان فقال : والله الذي لا إلّه إلّا هو ما قتلته ، ولامالأت على قتله ، ولا ساءني .

٤ ـ أخرج ابن سعد من طريق عمّار بن ياسر قال : رأيت عليّاً على منبر رسول الله ﷺ حين قُتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ولا نهيت عنه . الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٠١ .

وأوعز شاعر أهل الشام كعب بن جعيل إلى قول الإمام عليه السلام بأبيات له ألا وهي :

وما في عليّ لمستعتب ... مقالٌ سوى ضمِّه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب ... ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حذا شبهة[٢] ... وعمّى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ... ولا في النُهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سرَّه ... ولا بدَّ من بعض ذا أن يكونا[٣]

قال ابن أبي الحديد بعد ذكر الأبيات : ما قال هذا الشعر إلّا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين في عثمان يجري هذا المجرى نحو قوله : ما سرَّني ولا ساءني ، وقيل له : أرضيت بقتله ؟ فقال : لم أرض ، فقيل له : أسخطت قتله ؟ فقال : لم أسخط . وقوله تارةً : الله قتله وأنا معه . وقوله تارة أُخرى : ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله . وقوله تارةً أُخرى : كنت رجلاً من المسلمين أوردتُ إذا وردوا ، وأصدرتُ إذا صدروا . ولكلِّ شيء من كلامه إذا صحَّ عنه تأويلٌ يعرفه أُولو الألباب .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦٨ .

(٢) في العقد الفريد : زوى وجهه .

(٣) كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٦٣ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ أخرج أبو مخنف من طريق عبدالرحمٰن بن عبيد : إنَّ معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن سمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه وأنا عنده (إلى أن قال بعد كلام حبيب وشرحبيل وذكر جواب مولانا أمير المؤمنين): فقالا أتشهد أنَّ عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ؟ فقال لهما : لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد أنَّ عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه بُرءاء . ثمَّ قاما فانصرفا فقال عليٌّ : ﴿**إنَّك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاء إذا ولَّوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تُسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**﴾ .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٢٧ واللفظ له ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٥ .

٦ ـ ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٤ في حديث قول عليّ عليه السلام لعثمان : يا عثمان ! إنَّ الحق ثقيلٌ مريء ، وإنَّ الباطل خفيفٌ وبيء ، وإنَّك متى تُصدق تسخط ومتى تُكذب ترضَ .

٧ ـ كان عليٌّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل إبنه الحسن إليه فلمّا أكثر عليه قال له : إنَّ أباك يرى أنَّ أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ، فكفَّ عنّا ، فلم يبعث عليٌّ إبنه في شيء بعد ذلك ، وذكروا أنَّ عثمان صلّى العصر ثمَّ خرج إلى عليّ يعوده في مرضه ومروان معه فرآه ثقيلاً فقال : أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما أُريد أن أتكلّم به ، والله ما أدري أيّ يوميك أحبّ إليَّ أو أبغض ، أيوم حياتك ؟ أو يوم موتك ؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدّك كهفاً ، ويتّخذك عضداً ، ولئن متَّ لأفجعنَّ بك ، فحظّي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاقّ ، إن عاش عقّه ، وإن مات فجعه ، فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه ، إمّا صديقٌ مسالم ، وإمّا عدوٌّ معاني ، ولا تجعلني كالمختنق بين السَّماء والأرض ، لا يرقى بيد ولا يهبط برجل ، أما والله لئن قتلتك لا أُصيب منك خلفاً ، ولئن قتلتني لا تصيب منّي خلفاً ، وما أُحبّ أن أبقى بعدك . قال مروان : إي والله ، وأُخرى أنَّه لا ينال ما وراء ظهورنا حتّى تكسر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رماحنا ، وتقطع سيوفنا ، فما خير العيش بعد هذا ؟ فضرب عثمان في صدره وقال : ما يدخلك في كلامنا ؟ فقال عليٌّ : إنّي والله في شغل عن جوابكما ولكنّي أقول كما قال أبو يوسف : فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٤ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٠]

٨ ـ في كتاب لمولانا أمير المؤمنين يجيب به معاوية بن أبي سفيان قال : وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إيّاهم والبغي عليهم ، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأمّا الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت ، وعمل به النّاس ما قد بلغك ، فقد علمت أنّي كنت من أمره في عزلة إلاّ أن تجنّى فتجنَّ ما شئت ، وأمّا ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم إليك فإنّي نظرتُ في هذا الأمر وضربتُ أنفه وعينه فلم يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن غيّك لنعرفنَّك عمّا قليل يطلبونك ولا يكلّفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ولا برّ ولا بحر .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١٠٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٦ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٩ .

٩ ـ أخرج الطبري من طريق إسماعيل بن محمَّد : إنَّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقام رجل فقال : أقم كتاب الله ، فقال عثمان : إجلس فجلس حتّى قام ثلاثاً فأمر به عثمان فجلس فتحاثوا بالحصباء حتّى ما ترى السَّماء وسقط عن المنبر وحمل فأُدخل داره مغشيّاً عليه فخرج رجلٌ من حجَّاب عثمان ومعه مصحفٌ في يده وهو ينادي : ﴿**إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيَعاً لستَ منهم في شيء إنَّما أمرهم إلى الله**﴾ . ودخل عليٌّ بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشيٌّ عليه وبنو أُميَّة حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو أُميَّة بمنطق واحد فقالوا : يا عليّ ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين ، أما والله لئن بلغت الَّذي تريد لتُمرنَّ عليك الدنيا . فقام عليّ مغضباً .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٣ ، الكامل لإبن الأثير ٣ : ٦٧ .

١٠ ـ ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٢ في حديث مساءلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمرو بن العاص راكباً : فقال له عمرو : ما الخبر ؟ قال : قتل عثمان ، قال : فما فعل الناس ؟ فقال : بايعوا عليّاً . قال : فما فعل عليٌّ في قَتْلة عثمان ؟ قال : دخل عليه وليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال : ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرَّني ولا ساءني . قال : فما فعل بقتلة عثمان ؟ فقال : آوى ولم يرضَ ، وقد قال له مروان : إن لا تكن أمرت فقد تولَّيت الأمر ، وإن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين ، فقال عمرو بن العاص : خلط والله أبو الحسن .

١١ ـ روى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت عليّاً عليه السلام على منبر الكوفة وهو يقول : يا أبناء المهاجرين ! انفروا إلى أئمَّة الكفر ، وبقيَّة الأحزاب وأولياء الشيطان ، إنفروا إلى مَن يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالله الّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنَّهُ ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً[1] .

قال الأميني : طعن ابن أبي الحديد في هذا الحديث بمكان قيس[2] بن أبي حازم وقال : هو الذي روى حديث انَّكم لترون ربَّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، وقد طعن مشايخنا المتكلّمون فيه وقالوا : إنَّه فاسقٌ ولا تُقبل روايته لأنَّه قال : إنِّي سمعت عليّاً يخطب على منبر الكوفة ويقول : انفروا إلى بقيَّة الأحزاب . فأبغضته ودخل بغضه في قلبي ومَن يبغض عليّاً عليه السلام لا تقبل روايته . ثمَّ حمله على فرض الصحَّة على إرادة معاوية من قوله : حمّال الخطايا فقال : لأنَّهم يحامون عن دمه ، ومَن حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه . اهـ .

ألا مُسائل الرجل عن أنَّ رواية حديث الرؤية أيُّ منقصة وحزازة فيها وقد أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده ؟ فهل طعن أحدٌ في اولئك الأئمَّة لروايتهم إيّاها ؟ .

ثمَّ لو كان مَن أبغض عليّاً عليه السلام فاسقاً غير مقبول الرواية ـ كما هو الحقُّ ـ فما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩ .

(٢) من رجال الصحيحين : البخاري ومسلم .

قيمة الصحاح عندئذٍ في سوق الإعتبار؟ وما أكثر ما فيها من الرواية عن مناوئي أمير المؤمنين ومنهم نفس الرجل (قيس بن أبي حازم) فقد أخرج أئمّة الصحاح أحاديث من طريقه وهو من رجالهم .

على أنَّ علماء الفنِّ من القوم مع قولهم بأنَّه كان يحمل على عليّ نصوا على ثقة الرجل وقالوا : متقن الرواية ، والحديث عنه من أصحِّ الإسناد ، وقال ابن خراش : كوفيٌّ جليلٌ . وقال ابن معين : ثقةٌ . وذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال ابن حجر : أجمعوا على الذهبي الإحتجاج به ومن تكلّم فيه فقد آذى نفسه .

[راجع تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٨٦]

وأمّا تأويل : (حمّال الخطايا) بإرادة معاوية منه فمن التافه البعيد عن سياق العربيَّة نظير تأويل معاوية الحديث الوارد في عمّار من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : تقتلك الفئة الباغية .

١٢ ـ كان مولانا أمير المؤمنين يخطب ويلوم الناس على تثبيطهم وتقاعدهم ويستنفرهم إلى أهل الشام فقال له الأشعث بن قيس : هلاّ فعلت فعل ابن عفان ؟ فقال له : إنَّ فعل ابن عفّان لمخزاةٌ على من لا دين له ولا وثيقة معه ، إنَّ امرأ أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيفٌ رأيه ، مأفونٌ عقله ، أنت فكن ذاك ، إن أحببت فأمّا أنا فدون أن أُعطي ذاك ضرب بالمشرفيَّة الفصل[١] .

١٣ ـ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل مصرَ لمّا ولّى عليهم الأشتر :

من عبدالله عليٍّ أمير المؤمنين : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقِّه ، فضرب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكرٌ يُتناهى عنه[٢] .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٥٨ : هذا الفصل يشكل عليَّ تأويله

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٦٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأنَّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنَّهم غضبوا لله حين عُصي في الأرض ، فهذه شهادةٌ قاطعةٌ على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر . ثمَّ تأوَّله بما رآه تعسّفاً ، والتعسّف لا يغني عن الحقِّ شيئاً ولا تتمُّ به الحجَّة .

هَبْ ابن أبي الحديد تعسّف ها هنا وتأوَّل فما يصنع ببقيَّة كلمات مولانا أمير المؤمنين وكلمات سائر الصحابة لدة هذه الكلمة وهي تربو على مئات ؟ فهل يسعنا أن نكون عسوفاً في كلِّ ذلك ؟ سل عنه خبيراً .

١٤ ـ من كلام لأمير المؤمنين قاله لعثمان لَمَّا اجتمع الناس إليه وشكوا إليه ما نقموه على عثمان فدخل عليه السلام عليه فقال :

إنَّ الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه ، إنّك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه وقد رأيتَ كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا ، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحقِّ منك ، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فالله الله في نفسك فإنَّك والله ما تُبصَّر من عمىً ، ولا تُعلّم من جهل ، وإنَّ الطرق لواضحةٌ ، وإنَّ أعلام الدين لقائمة ، فاعلم أنَّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ ، هُدي وهَدى ، فأقام سنَّةً معلومةً ، وأمات بدعةً مجهولةً ، وإنَّ السنن لنيِّرةٌ لها أعلامٌ ، وإنَّ البدع لظاهرةٌ لها أعلام ، وان شرَّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ، ضلَّ وضُلَّ به ، فأمات سنَّةً مأخوذةً ، وأحيا بدعةً متروكةً ، وإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ فيُلقى في نار جهنَّم فيدور فيها كما تدور الرحى ثمَّ يرتبط في قعرها ، وإنِّي أُنشدك الله أن تكون إمام هذه الامَّة المقتول فإنَّه كان يُقال : يُقتل في هذه الامَّة إمامٌ يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويُلبِّس أُمورها عليها ، ويُثبِّت الفتن فيها ، فلا يبصرون الحقَّ من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكوننَّ لمروان سيِّقةً يسوقك حيث شاء بعد جُلال

السنِّ وتقضّي العمر ، فقال له عثمان : كلّم الناس في أن يؤجِّلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه[1] .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٦ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٦ ، نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٨ .

١٥ ـ أخرج ابن السمّان من طريق عطاء انَّ عثمان دعا عليّاً فقال : يا أبا الحسن ! إنَّك لو شئت لاستقامت عليَّ هذه الامَّة فلم يخالفني واحدٌ . فقال عليٌّ : لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكفَّ الناس ، ولكنّي سأدلّك على أمر هو أفضل ممّا سألتني : تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر ، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحدٌ .

[الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٩]

١٦ ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشقشقيَّة قوله : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى انتكث فتله، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

مرَّت مصادر هذه الخطبة في الجزء السابع ص ٩٩ـ ١٠٣

١٧ ـ قال ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ : قال حسّان بن ثابت لعليّ : إنَّك تقول : ما قتلتُ عثمان ولكن خذلته ، ولا آمر به ولكن لم أنه عنه ، فالخاذل شريك القاتل ، والساكت شريك القاتل .

١٨ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٣ من طريق عبدالله بن عباس قال : إنَّ عثمان شكا عليّاً إلى العبّاس فقال له : يا خال ! إنَّ عليّاً قد قطع رحمي ، وألّب الناس إبنك ، والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي فبنو عبد مناف أحقُّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه ! قال عبدالله بن العبّاس : فأطرق أبي طويلاً ثمَّ قال : يا بن أخت ! لئن كنت لا تحمد

(١) سيأتي تمام الحديث في صور توبة الخليفة وحنثه إيّاها مرّة بعد اخرى .

عليّاً فما يُحمدك له ، وإنَّ حقّك في القرابة والإمامة للحقُّ الذي لا يُدفع ولا يُجحد ، فلو رقيت فيما تطأطأ أو تطأطأت فيما رقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : قد صيَّرت الأمر في ذلك إليك فقرِّب الأمر بيننا . قال : فلمّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه ، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه فلمّا رجع قال : يا خال ! أُحبّ أن تؤخِّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليَّ حتّى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثمَّ التفت إليَّ فقال : يا بُنيَّ ليس إلى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثمَّ قال : اللهمَّ أسبق بي الفتن ولا تبقني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه . فما كانت جمعة حتى هلك .

١٩ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٤ من طريق صهيب مولى العبّاس : إنَّ العبّاس قال لعثمان : أُذكِّرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ ، فقد بلغني أنَّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوَّل ما أُجيبك به أنّي قد شفعتك ، أنَّ عليّاً لو شاء لم يكن أحدٌ عندي إلّا دونه ولكنَّه أبى إلّا رأيه ، ثمَّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان ، فقال عليٌّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

٢٠ ـ من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية : أمّا بعد : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك ، وإنّي لأرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ، وفي ط ٢٨٥]

ولا تنس في الختام قول حسّان بن ثابت :

صبراً جميلاً بني الأحرار لا تهنوا ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
يا ليت شعري وليت الطير تُخبرني ... ما كان شأن عليّ وابن عفّانا
لتسمعنَّ وشيكاً في ديارِكُم ... اللّه أكبر يا ثارات عثمانا[1]

قال الأميني : يُعطينا الأخذ بمجامع هذه الأحاديث أنَّ الإمام عليه السلام ما كان يرى الخليفة إمام عدل يسوءه قتله ، أو يهمّه أمره ، أو يُسخطه التجمهر عليه ، بل

---

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ١٠٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان يعتزل عن أمره ويخشى أن يكون آثماً إن دأب على الدفاع عنه ، ولا يرى الثائرين عليه متحوِّبين في نهضتهم وإلاّ لساءه ذلك فضلاً عن أن يسكت عنهم ، أو يطريهم كما سمعته من كتابه إلى أهل مصر ، أو يرى الخاذلين له خيراً ممَّن نصره ، ولو كان يراه إمام عدل فأقلّ المراتب أن يقول : إنَّ ناصره خيرٌ من خاذله . بل الشأن هذا في أفراد المسلمين العدول من الرعيَّة فضلاً عن إمامها .

وحديث شكاية عثمان إلى عمّه العبّاس المتوفّى سنة ٣٢ يُعلمنا بأنَّ الخلاف والتشاجر بينهما كانا قبل تجمهر الثائرين عليه في أواسط أيّام خلافته قبل وفاته بأعوام وقول أمير المؤمنين له : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت . فيه إيعازٌ إلى أنَّ إنكاره عليه السلام على الرجل لم يكن قطّ في الملك ، وما كان يرضى بشقِّ عصا المسلمين بالخلاف عليه في أمره ، وإنَّما كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يك يرى لنفسه بُدّاً من ذلك .

ولو أمعنت النظر فيما سردناه من ألفاظه الدريَّة لا نفتح عليك أبواب من رأي الإمام عليه السلام في الخليفة لم نوعز إليها ، ويُعرب عن رأيه فيه ما مرَّ في ج ٨ ص ٣٣٥ من خطبة له عليه السلام خطبها في اليوم الثاني من بيعته من قوله : ألا إنَّ كلَّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلَّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال . فلو كان الرجل إمام عدل عند الإمام عليه السلام لكان أخذه وردُّه وقطعه وعطاءه، حجَّة لا يتطرَّق إليها الردُّ ، ولكن . . .

٢ ـ حديث عائشة بنت أبي بكر أُم المؤمنين :

١ ـ قال ابن سعد : لمّا حُصر عثمان كان مروان يُقاتل دونه أشدَّ القتال ، وأرادت عائشة الحجَّ وعثمان محصورٌ فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبدالرحمٰن بن عتاب فقالوا : يا أُمَّ المؤمنين ! لو أقمت فإنَّ أمير المؤمنين على ما ترين محصورٌ ومقامك ممّا يدفع الله به عنه . فقالت : قد حلبت ظهري ، وعرّيت غرائري ، ولست أقدر على المقام فأعادوا عليها الكلام فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم ، فقام مروان وهو يقول :

وحرَّق قيسٌ عليَّ البلا د حتَّى إذا استعرت أجذما

فقالت عائشة : أيُّها المتمثِّل عليَّ بالأشعار وددتُ والله انَّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رَحاً وانّكما في البحر ، وخرجت إلى مكّة .

وفي لفظ البلاذري : لَمّا اشتدَّ الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرحمٰن بن عتاب بن اسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجَّ فقالا لها : لو أقمتِ فلعلَّ الله يدفع بكِ عن هذا الرجل . فقالت : قد قرنتُ ركابي وأوجبتُ الحجَّ على نفسي ، ووالله لا أفعل . فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحرَّق قيسٌ عليَّ البلا د حتّى إذا اضطرمت أجذما

فقالت عائشة : يا مروان ! وددت والله أنَّه في غرارة[1] من غرائري هذه وأنِّي طوَّقت حمله حتَّى أُلقيه في البحر .

٢ ـ مرَّ عبدالله بن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا بن عبّاس ! إنَّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية . أخرجه البلاذري .

وفي لفظ الطبري : خرج ابن عبّاس فمرَّ بعائشة في الصلصل[2] فقالت : يابن عبّاس ! انشدك الله فإنَّك قد أُعطيت لساناً إزعيلا أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكّك فيه النّاس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتجلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ ، وقد رأيت طلحة بن عبدالله قد اتَّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يلِ يسِرْ بسيرة ابن عمِّه أبي بكر رضي الله عنه . قال : قلت : يا أُمَّه ! لو حدث بالرجل حدثٌ ما فزع النّاس إلّا إلى صاحبنا . فقالت : إيهاً عنك إنِّي لستُ أُريد مكابرتك ولا مجادلتك . وحكاه ابن أبي الحديد عن تاريخ الطبري في شرح النهج غير أنَّ فيه : فقالت : يابن عبّاس ! انشدك الله فإنَّك قد أُعطيت فهماً ولساناً وعقلاً أن لا تخذّل النّاس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم

---

(١) الغرارة بكسر المعجمة : الجوالق .

(٢) صلصل بالضم والتكرير : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في عثمان ، واتجهت ورفعت لهم المنابر وتجلّبوا من البلدان لأمر عظيم قد حمّ ، وانّ طلحة قد اتّخذ رجالاً على بيوت الأموال ، وأخذ مفاتيح الخزائن ، وأظنّه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمّه أبي بكر . الحديث .

٣ ـ كانت عائشة وأُمّ سلمة حجّتا ذلك العام (عام قتل عثمان) وكانت عائشة تؤلّب على عثمان فلمّا بلغها أمره وهي بمكّة أمرت بقبّتها فضربت في المسجد الحرام وقالت : إنّي أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر . رواه البلاذري .

٤ ـ أخرج عمر بن شبة من طريق عبيد بن عمرو القرشي قال : خرجت عائشة رضي الله عنها وعثمان محصورٌ فقدم عليها مكّة رجلٌ يقال له : أخضر ، فقالت : ما صنع الناس ؟ فقال : قتل عثمان المصريّين . قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أيقتل قوماً جاؤوا يطلبون الحقّ ويُنكرون الظلم ؟ والله لا نرضى بهذا . ثمّ قدم آخر فقالت : ما صنع النّاس ؟ قال : قتل المصريُّون عثمان ، قالت : العجب لأخضر زعم أنّ المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل : أكذب من أخضر . وأخرجه الطبري .

٥ ـ مرّ في الجزء الثامن صفحة ١٥٥ : ان الشهود على الوليد بن عقبة بشربه الخمر استجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال : أما تجد مرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلّا بيت عائشة . فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل . الحديث فراجع .

٦ ـ أسلفنا في هذا الجزء صفحة ٣٤ في مواقف عمّار : إنّ عائشة لَمّا بلغها ما صنع عثمان بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعدُ ؟ فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى ما درى ما يقول . الحديث .

وقال أبو الفدا : كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه وكانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تخرج قميص رسول الله ﷺ وشعره وتقول : هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بُلي دينه .

٧ ـ وفي كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه لَمّا قارب البصرة إلى طلحة والزبير وعائشة : وأنتِ يا عائشة فإنَّكِ خرجت من بيتكِ عاصيةً لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثمَّ تزعمين أنّكِ تريدين الإصلاح بين المسلمين ، فخبّريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال ، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرَّمة ؟ ثمَّ إنَّكِ طلبتِ على زعمكِ دم عثمان وما أنتِ وذاك ؟ عثمان رجلٌ من بني أُميَّة وأنتِ من تيم ، ثمَّ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، ثمَّ تطلبين اليوم بدمه ؟ فاتَّقي الله وارجعي إلى بيتكِ ، واسبلي عليكِ سترك ، والسَّلام .

٨ ـ أخرج الطبري وابن قتيبة : انَّ غلاماً من جهينة أقبل على محمّد بن طلحة (يوم الجمل) وكان محمَّد رجلاً عابداً فقال : أخبرني عن قتلة عثمان فقال : نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث : ثلثٌ على صاحبة الهودج يعني عائشة ، وثلثٌ على صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة ، وثلثٌ على عليٍّ بن أبي طالب . وضحك الغلام وقال : ألا أراني على ضلال ولحق بعليّ وقال في ذلك شعراً :

سألت ابن طلحة عن هالك ... بجوف المدينة لم يُقبر ؟
فقال : ثلاثة رهطٍ هُمُ ... أماتوا ابن عفّان واستعبر
فثلثٌ على تلك في خِدرها ... وثلثٌ على راكب الأحمر
وثلثٌ على ابن أبي طالب ... ونحن بدويَّةٍ قرقر
فقلت : صدقت على الأوَّلين ... وأخطأت في الثالث الأزهر

٩ ـ أخرج الطبري من طريقين : إنَّ عائشة رضي الله عنها لمّا انتهت إلى سَرِف[1] راجعةً في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أُم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أُمّه فقالت له : مهيمْ ؟ قال : قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانياً .

---

(١) سرف بالفتح ثم الكسر : موضع على ستة أميال من مكة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالت : ثمَّ صنعوا ماذا ؟ قال : أخذها أهل المدينة بالإجتماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على عليٍّ بن أبي طالب . فقالت : والله ليت إنَّ هذه انطبقت على هذه إن تمَّ الأمر لصاحبك ردُّوني ردُّوني . فانصرفت إلى مكّة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنَّ بدمه . فقال لها إبن أُمِّ كلاب : ولِمَ ؟ فوالله إنَّ أوَّل من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1] . قالت : إنَّهم استتابوه ثمَّ قتلوه ، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأوَّل . فقال لها إبن أُم كلاب[2] :

منكِ البداء ومنكِ الغَيِّرّ ... ومنكِ الرياح ومنكِ المطَر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام ... وقلتِ لنا : إنَّه قد كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله ... وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع النّاس ذا تُدرإ ... يزيل الشبا ويُقيم الصَّعَرْ
ويلبس للحرب أثوابها ... وما من وفى مثلُ من قد غدر

فانصرفت إلى مكّة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فستَّرت واجتمع إليها الناس فقالت : يا أيُّها الناس ! إنَّ عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ووالله لأطلبنَّ بدمه .

١٠ ـ قال أبو عمر صاحب الإستيعاب : إنَّ الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودهاء ، لَمّا قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فأبى أن يأتيها ثمَّ أرسلت إليه فأتاها فقالت : ويحك يا أحنف ! بمَ تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ؟ أمن قلّة عدد ؟ أو أنَّك لا تُطاع في العشيرة ؟ قال : يا أُم المؤمنين ! ما كبرت السنُّ ولا طال العهد وإنَّ عهدي بكِ عام أوّل تقولين فيه وتنالين منه . قالت : ويحك يا أحنف ! إنَّهم ماصوه موص الإناء ثمَّ قتلوه . قال : يا أُم المؤمنين ! إنِّي آخذٌ بأمرك وأنتِ راضية ، وأدعه وأنت ساخطة .

---

(١) في لفظ ابن قتيبة : فجر .
(٢) في لفظ ابن قتيبة : عذر والله ضعيف ، يا ام المؤمنين . ثم ذكر الابيات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١١ ـ أخرج ابن عساكر من طريق أبي مسلم أنَّه قال لأهل الشام وهم ينالون من عائشة في شأن عثمان ، يا أهل الشام ! أضرب لكم مثلكم ومثل امّكم هذه : مثلها ومثلكم كمثل العين في الرأس تؤذي صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلّا بالذي هو خيرٌ لها .

١٢ ـ قال ابن أبي الحديد : قال كلٌّ من صنَّف في السير والأخبار : إنَّ عائشة كانت من أشدِّ الناس على عثمان حتّى انَّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبل وعثمان قد أبلى سنَّته . قالوا : أوَّل من سمّى عثمان نعثلاً عائشة ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً .

١٣ ـ روى المدائني في كتاب الجمل قال : لَمّا قُتل عثمان كانت عائشة بمكّة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشكّ في أنَّ طلحة هو صاحب الأمر وقالت : بُعداً لنعثل وسحقاً ، إيه ذا الإصبع ! إيه أبا شبل ! إيه يابن عمّ ! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له ، حثوا الإبل ودعدعوها . قال : وقد كان طلحة حين قُتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثمَّ فسد أمره فدفعها إلى عليٍّ بن أبي طالب .

١٤ ـ قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه : إنَّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول : إيه ذا الإصبع لله أبوك ، أما إنَّهم وجدوا طلحة لها كفواً ، فلمَّا انتهت إلى شراف[1] استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له : ما عندك ؟ قال : قُتل عثمان . قالت : ثمَّ ماذا ؟ قال : ثمَّ حارت بهم الامور إلى خير محار ، بايعوا عليّاً . فقالت : لوددت أنَّ السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا ، ويحك انظر ماذا تقول . قال : هو ما قلت لكِ يا أُمَّ المؤمنين ! . فولولت . فقال لها : ما شأنكِ يا أُمَّ المؤمنين ؟ والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحقَّ ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولايته ؟ قال : فما ردَّت عليه جواباً .

---

(١) راجع صفحة ٢٨٠ من الجزء الثامن ، وص ١٠٤ من هذا الجزء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد روي من طرق مختلفة : إنَّ عائشة لَمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة قالت : أبعده الله ، ذلك بما قدَّمت يداه وما الله بظلاّم للعبيد .

١٥ ـ قال : وقد روى قيس بن أبي حازم : إنَّه حجَّ في العام الذي قُتل فيه عثمان وكان مع عائشةَ لَمّا بلغها قتله فتحمَّل إلى المدينة قال : فسمعها تقول في بعض الطريق إيه ذا الإصبع . وإذا ذكرت عثمان قالت : أبعده الله . حتّى أتاها خبر بيعة عليّ فقالت : لوددت أنَّ هذه وقعت على هذه . ثمَّ أمرت بردِّ ركائبها إلى مكّة فرددت معها ورأيتها في سيرها إلى مكّة تخاطب نفسها كأنَّها تخاطب أحداً : قتلوا ابن عفان مظلوماً . فقلت لها : يا أُمَّ المؤمنين ! ألم أسمعك آنفاً تقولين أبعده الله ؟ وقد رأيتكِ قبلُ أشدَّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً ، فقالت : لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتَّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

١٦ ـ قال : وروي من طرق أُخرى : أنّها قالت لمّا بلغها قتله : أبعده الله قتله ذنبه ،وأقادهُ الله بعمله ، يا معشر قريش ! لا يسومنَّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه ، إنَّ أحقَّ النّاس بهذا الأمر ذو الإصبع . فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت : تعسوا لا يردُّون الأمر في تيم أبداً . كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكّة كتباً أن خذّلي النّاس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان . وحملا الكتب مع إبن اختها عبدالله بن الزبير ، فلمّا قرأت الكتب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان ، وكانت أُمّ سلمة رضي الله عنها بمكّة في ذلك العام فلمّا رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاة عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرَّتين .

١٧ ـ قال أبو مخنف : جاءت عائشة إلى أُمِّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها : يا بنت أبي أُميَّة أنت أوَّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنت كبيرة أُمَّهات المؤمنين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك . فقالت أُمّ سلمة : لأمرٍ ما قلتِ هذه المقالة ؟ فقالت عائشة : إنَّ عبدالله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلمّا تاب قتلوه

صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا . فقالت : أنا أُمّ سلمة ، إنّكِ كنت بالأمس تحرِّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول ، وما كان إسمه عندكِ إلاّ نعثلاً ، وإنَّكِ لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . الحديث[1] .

١٨ ـ روى ابن عبد ربِّه عن العتبي قال : قال رجلٌ من بني ليث : لقيت الزبير قادماً فقلت : يا أبا عبدالله ما بالك ؟ قال : مطلوبٌ مغلوبٌ يغلبني إبني ويطلبني ذنبي ، قال : فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت : أبا إسحاق ! مَن قتل عثمان ؟ قال : قتله سيف سلّته عائشة ، وشحَّذه طلحة ، وسمَّه عليٌّ . قلت : فما حال الزبير ؟ قال : أشار بيده وصمت بلسانه .

وفي الإمامة والسياسة : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره ، فكتب إليه سعد : إنَّك سألتني من قتل عثمان ، وإنّي أُخبرك انَّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقَّله طلحة ، وسمَّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غيَّر وتغيَّر وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا ، فنستغفر الله ، وأُخبرك أنَّ الزبير مغلوبٌ بغلبة أهله وبطلبه بذنبه ، وطلحة لو يجد أن يشقَّ بطنه من حبِّ الإمارة لشقَّه .

١٩ ـ وقال ابن عبد ربِّه : دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبدالله ! لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصل هَوْدَجي حتّى وصل بعضها إلى جلدي . قال لها المغيرة : وددت والله انَّ بعضها كان قتلكِ . قالت : يرحمك الله ولِمَ تقول هذا ؟ قال لعلّها تكون كفّارةً في سعيكِ على عثمان . قالت : أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أنّي أردت قتله ، ولكن علم الله إنّي أردت أن يُقاتل فقوتلت ، وأردت أن يُرمى فرُميت ، وأردت أن يُعصى فعصيت ، ولو علم منّي أنّي أردت قتله لقُتلت .

---

(١) فيه فوائد جمّة لا تفوت الباحث وعليه به .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٠ ـ وروى ابن عبد ربّه عن أبي سعيد الخدري قال : إنَّ ناساً كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكّة فمرَّ بنا عثمان فما بقي أحدٌ من القوم إلاّ لعنه غيري فكان فيهم رجلٌ من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفة أجرأ منه على غيره فقال : يا كوفي ! أتشتمني ؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدَّده قال : فقيل له : عليك بطلحة ، قال : فانطلق معه حتّى دخل على عثمان فقال عثمان : والله لأجلدنَّه مائة سوط . قال طلحة : والله لا تجلده مائة إلاّ أن يكون زانياً . قال : والله لأحرمنَّه عطاءه . قال : الله يرزقه .

٢١ ـ قال ابن الأثير والفيروز آبادي وابن منظور والزبيدي : النعثل الشيخ الأحمق ونعثل يهوديٌّ كان بالمدينة . قيل شبّه به عثمان رضي الله عنه كما في التبصير ، ونعثل رجلٌ من أهل مصر كان طويل اللحية ، قال أبو عبيد : كان يشبه عثمان ، وشاتمو عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عثمان أنَّه كان يخطب ذات يوم فقام رجلٌ فنال منه فوذأه ابن سلام فاتَّذأ فقال له رجلٌ : لا يمنعنك مكان ابن سلام أن تسبَّ نعثلاً فإنَّه من شيعته ، وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عائشة : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً . تعني عثمان ، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكّة ، وفي حياة الحيوان : النعثل كجعفر : الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً .

٢٢ ـ روى البلاذري في الأنساب قال : خرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية تقول : قُتل عثمان رحمه الله . فقال لها عمّار بن ياسر : أنتِ بالأمس تحرِّضين عليه ثمَّ أنت اليوم تبكينه ؟ !

راجع طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥ ط ليدن ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٠ ، ٧٥ ، ٩١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٧ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣١٩ ، الإستيعاب ترجمة الأحنف صخر بن قيس ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٧ ، ٥٠٦ ، تذكرة السبط ص ٣٨ ، ٤٠ ، نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٦٦ ، اسد الغابة ج ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ص ١٥ : الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٧ ، القاموس ج ٤ ص ٥٩ ، حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٥٩ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣١٤ ، لسان العرب ج ١٤ ص ١٩٣ ، تاج العروس ج ٨ ص ١٤١ .

قال الأميني : هذه الروايات تُعطينا درساً ضافياً بنظريَّة عائشة في عثمان وانَّها لم تكن ترى له جدارة تسنُّم ذلك العرش ، وبالغت في ذلك حتّى ودَّت إزالته عن مستوى الوجود . فأحبَّت له أن يُلقى في البحر وبرجله رحىً تجرّه إلى أعماقه ، أو أنَّه يُجعل في غرارة من غرائرها وتشدُّ عليه الحبال فيقذف في عباب اليمِّ فيرسب فيه من غير خروج ، أو أن يودي به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملأ معرَّة أُحدوثاته ، ولذلك كانت تُثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثوبه ونعله ، ولم تبرح تؤلِّب الملأ الدينيَّ عليه وتحثهم على مقته وتخذِّلهم عن نصرته في حضرها وسفرها ، وإنَّها لم تعدل عن تلكم النظريَّة حتّى بعدما أُجهز على عثمان إلّا لمّا علمت من إنفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره وتضمر تقديمه منذ كانت تُرهج النقع على عثمان ، وتهيِّج الامَّة على قتله ، فكانت تروم أن تُعيد الإمرة تيميَّة مرَّة أُخرى ، ولعلّها حجَّت لبثّ هاتيك الدعاية في طريقها وعند مجتمع الحجيج بمكّة ، فكان يُسمع منها قولها في طلحة : إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل ! إيه يابن عمّ ! لكأنِّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له ، وقولها : إيه ذا الإصبع ! لله أبوك ، أما إنَّهم وجدوا طلحة لها كفواً .

وقولها في عثمان : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، وقولها لابن عبّاس : إيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية ، وقولها بمكّة : بُعداً لنعثل وسحقاً ، وقولها لَمّا بلغها قتله : أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلّام للعبيد .

لكنّها لَمّا علمت أنَّ خلافة الله الكبرى عادت علويَّة واستقرَّت في مقرِّها الجدير بها ـ ولم يكن لها مع أمير المؤمنين عليه السلام هوى ـ قلبت عليها ظهر المجنِّ ، فطفقت تقول : لوددت أنَّ السَّماء إنطبقت على الأرض إن تمَّ هذا ، وأظهرت الأسف على قتل عثمان ورجعت إلى مكّة بعد ما خرجت منها ، ونهضت ثائرةً تطلب بدم عثمان لعلّها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق ، وإلّا فما هي من أولياء ذلك الدم ، وقد وُضع عنها قود العساكر ومباشرة الحروب ، لأنَّها امرأة خلقها

الله لخدرها ، وقد نهيت كبقيَّة نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم خاصَّة عن التبرُّج ، وقد أنذرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحذَّرها عن خصوص واقعة الجمل ، غير أنَّها أعرضت عن ذلك كلّه لما ترجَّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة ، وتصاممت عن نبح كلاب الحوأب ، وقد ذكره لها الصّادق الأمين عند الإنذار والتحذير ، ولم تزل يقودها الأمل حتّى قُتل طلحة فألمَّت بها الخيبة ، وغلب أمر الله وهي كارهة .

٣ ـ حديث عبدالرحمٰن بن عوف أحد العشرة المبشَّرة ، شيخ الشورى ، بدريٌّ :

١ ـ أخرج البلاذري عن سعد قال : لَمّا توفِّي أبو ذر بالربذة تذاكر عليٌّ وعبدالرّحمٰن بن عوف فعل عثمان فقال عليٌّ : هذا عملك . فقال عبدالرَّحمٰن : إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي ، إنَّهُ قد خالف ما أعطاني .

٢ ـ قال أبو الفدا : لَمّا أحدث عثمان رضي الله عنه ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه روي أنَّه قيل لعبدالرحمٰن بن عوف : هذا كلّه فعلك . فقال : ما كنت أظنُّ هذا به ، لكن لله عليَّ أن لا أُكلّمه أبداً ، ومات عبدالرَّحمٰن وهو مهاجرٌ لعثمان رضي الله عنهما ، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحوَّل إلى الحائط ولم يُكلّمه .

٣ ـ روى البلاذري من طريق عثمان بن الشريد قال : ذُكر عثمان عند عبدالرّحمٰن بن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبدالرَّحمٰن : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بئر كانت يُسقى منها نعم عبدالرَّحمٰن بن عوف فمنعه إيّاها فقال عبدالرحمٰن : اللّهمَّ إجعل ماءها غوراً . فما وجدت فيها قطرة .

٤ ـ عن عبدالله بن ثعلبة قال : إنَّ عبدالرَّحمٰن بن عوف كان حلف ألا يكلّم عثمان أبداً .

٥ ـ عن سعد قال : إنّ عبدالرَّحمٰن أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، فصلى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص ، وتوفّي سنة إثنتين وثلاثين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ قال إبن عبد ربِّه : لَمّا أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمَّد قيل لعبدالرَّحمٰن : هذا عملك . قال : ما ظننت هذا . ثمَّ مضى ودخل عليه وعاتبه وقال : إنَّما قدَّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إنَّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبدالرَّحمٰن : لله عليَّ أن لا أكلّمك أبداً . فلم يكلّمه أبداً حتّى مات وهو مهاجرٌ لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحوَّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه .

راجع أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٦ .

٧ ـ أخرج الطبري من طريق المسور بن المخرمة قال : قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبدالرَّحمٰن بن عوف فأرسل إلى المسور بن المخرمة وإلى عبدالرَّحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسَّمها عبدالرَّحمٰن في الناس وعثمان في الدار .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

٨ ـ قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : أُستجيبت دعوة عليّ عليه السلام في عثمان وعبدالرَّحمٰن فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين ، أرسل عبدالرَّحمٰن إلى عثمان يعاتبه (إلى أن قال) : لَمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبدالرَّحمٰن فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال : يابن عفان ! لقد صدَّقنا عليك ما كنّا نكذِّب فيك ، وإنِّي أستعيذ بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجه عنِّي يا غلام ! فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه ، فلم يكن يأتيه أحدٌ إلّا ابن عبَّاس كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض ، ومرض عبدالرَّحمٰن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٥ ، ٦٦]

قول العسكري : أُستجيبت دعوة عليٍّ . إشارةٌ إلى ما ورد من قوله عليه السلام يوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشورى لعبدالرَّحمٰن بن عوف : والله ما فعلتها إلاّ لأنَّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه دقَّ الله بينكما عطر منشم[١] .

ومنشم امرأة عطّارة من حمير ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : أشأم من عطر منشم فصار مثلاً .

وقول عبد الرَّحمٰن : لقد صدَّقنا عليك ما كنّا نكذِّب فيك . إيعازٌ إلى قول مولانا أمير المؤمنين يوم الشورى أيضاً : أما إنِّي أعلم أنَّهم سيولون عثمان ، وليحدثنَّ البدع والأحداث ، ولئن بقي لأذكرنَّك ، وإن قُتل أو مات ليتداولونها بنو أُميَّة بينهم ، وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون[٢] .

قال الشيخ محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٥ : لَمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ، ووجد عليه كبار الصحابة روي أنَّه قيل لعبد الرحمٰن : هذا عمل يديك . فقال : ما كنت أظنُّ هذا به ولكن لله عليَّ أن لا أُكلّمه أبداً ، ثمَّ مات عبدالرحمٰن وهو مهاجرٌ لعثمان ، حتَّى قيل : انَّ عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحوَّل إلى الحائط لا يكلّمه ، والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء .

وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٣٩ : كان عثمان بن عفّان مهاجراً لعبدالرَّحمٰن بن عوف حتى ماتا .

قال الأميني ، لا بدَّ أن يُسائل هؤلاء عن أشياء فيقال لهم : إنَّ سيرة الشيخين التي بويع عثمان عليها هل كانت تطابق سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو تخالفها ؟ وعلى الأوّل فشرطها مستدركٌ ، ولا شرط للخلافة إلاّ مطابقة كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم ولا نقمة على تاركها إلاّ بترك السنّة لا السيرة ، فذكرها إلى جانب السنَّة الشريفة كضمِّ اللاَّحجَّة إلى الحجَّة ، أو كوضع الحجر إلى جنب الإنسان ، وعلى الثاني فإنَّ مِن الواجب على كلّ مسلم مخالفتها بعد فرض إيمانه بالله وبكتابه ورسوله واليوم

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٣ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآخر ، فكان من حقِّ المقام أن ينكروا على عثمان مخالفة السنَّة فحسب . ولهذا لم يقبل مولانا أمير المؤمنين لَمّا ألقى إليه عبدالرَّحمٰن أمر البيعة على الشرط المذكور إلاّ مطابقة أمره للسنَّة والإجتهاد فيها[1] .

وليت شعري إنَّه لَمّا شرط ابن عوف على عثمان ذلك هل كان يعلم بما قلناه من الموافقة أو المخالفة أو لا ؟ وعلى فرض علمه يتوجَّه عليه ما سطرناه على كلّ مِن الفرضين ، وعلى تقدير عدم علمه وهو أبعد شيء يُفرض فكيف شرط عليه ما لا يعلم حقيقته ، وكيف يناط أمر الدين وزعامته الكبرى بحقيقة مجهولة ؟ وما الفائدة في اشتراطه ؟

وللباقلاني في التمهيد ص ٢١٠ في بيان هذا الشرط وجهٌ نُجلُّ عنه ساحة كلِّ متعلّم فاهم فضلاً عن عالم مثله .

ثمَّ نأتي إلى عثمان فنحاسبه على قبوله لأوَّل وهلة ، هل كان يعلم شيئاً ممَّا قدَّمناه من النسبة بين السنَّة والسيرة أو لا؟ فهلاّ شرط الأمر على تقدير الموافقة ؟ ورفضَه على فرض المخالفة ؟ وإن كان لا يعلم فكيف قبل شرطاً لا يدري ما هو ؟ ثمَّ هل كان يعلم يومئذٍ أنَّه يطيق على ذلك أو لا ؟ أوكان يعلم أنَّه لا يطيقه ؟ وعلى الأخير فكيف قبل ما لا يطيقه ؟ وعلى الثاني كيف أقدم على الخطر فيما لا يعلم أنَّه يتسنّى له أن ينوء به ؟ وعلى الأوَّل فلماذا خالف ما اشترط عليه وقبله ووفيت البيعة عليه ؟ وحصل القبول والرضا من الامَّة به ؟ ثمَّ جاء يعتذر لمّا أخذه ابن عوف بمخالفته إيّاها بأنَّه لا يطيق ذلك فقال فيما أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٦٨ من طريق شقيق : وأمّا قوله : ولِمَ أترك سنَّة عمر ؟ فإنِّي لا أُطيقها ولا هو . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٦ .

وكيفما أُجيب عن هذه المسائل فعبرتنا الآن بنظريَّة عبدالرَّحمٰن بن عوف الأخيرة في الخليفة ، وهي من أوضح الحقائق لمن استشفَّ ما ذكرناه من قوله له : إنِّي أستعيذ بالله من بيعتك . وقوله لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام : إذا شئت فخذ

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٧٥ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٠ ، تمهيد الباقلاني ص ٢٠٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٦ .

سيفك وآخذ سيفي . الخ . مستحلاً قتاله ، وقوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه . وقد بالغ في الإنكار عليه ورأيه في سقوطه أنّه لم يره أهلاً للصّلاة عليه وأوصى بذلك عند وفاته فصلّى عليه الزبير ، وهجره وحلف أن لا يكلّمه أبداً حتّى انّه حوّل وجهه إلى الحائط لمّا جاء عائداً ، وإنّه كان لا يرى لتصرّفاته نفوذاً ولذلك لمّا بلغه إعطاء عثمان إبل الصدقة لبعض بني الحكم أرسل إليها المسور بن المخرمة وعبدالرّحمٰن بن الأسود فأخذها فقسّمها عبدالرّحمٰن في النّاس وعثمان في الدار ، ولهذه كلّها كان يراه عثمان منافقاً ويقذفه بالنفاق كما ذكره ابن حجر في الصواعق ص ٦٨ وأجاب عنه متسالماً عليه بأنّه كان متوحّشاً منه لأنّه كان يجيئه كثيراً . إقرأ واضحك. وذكره الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٧ فقال : أجاب عنه ابن حجر ولم يذكر الجواب لعلمه بأنّه أُضحوكة .

ونسائل القوم بصورة أُخرى مع قطع النظر عن جميع ما قلناه : إنّ ما اشترط على عثمان وعُقد عليه أمره هل كان واجب الوفاء ؟ أو كان لعثمان منتدحٌ عنه بتركه ؟ وعلى الأوّل فما وجه مخالفة الخليفة له ؟ ولماذا لم يقبله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو عيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعارف بأحكامه وسننه وبصلاح الأُمّة منذ بدء أمرها إلى منصرمه ، وهل يخلع الخليفة في صورة المخالفة ؟ فلماذا كان عثمان لا يروقه التنازل عن أمره لمّا أرادت الصحابة خلعه للمخالفة ؟ أو أنّه لا يُخلع ؟ فلماذا تجمهروا عليه فخلعوه وقتلوه ؟ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العدول كلّهم في نظر القوم ، وإن كان لا يجب الوفاء به ؟ فلماذا لم يبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام لَمّا جاء بعدم الإلتزام بما لا يجب الوفاء به ؟ وما معنى اعتذار عبدالرّحمٰن بن عوف في تقديمه عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه قبل متابعة سيرة الشيخين ولم يقبلها عليٌّ عليه السلام ؟ ولِماذا ألزموا عثمان به ؟ ولِماذا التزم به عثمان ؟ ولِماذا تمّت البيعة عليه ؟ ولِماذا تجمهروا عليه لَمّا شاهدوا منه المخالفة ؟

﴿وَلَيُسئَلُنَّ يومَ القِيامَةِ عَمّا كَانُوا يَفتَرُون فيومَئِذٍ لا يَنفَعُ الذينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهم وَلا هُمْ يُستَعتَبون﴾[1] .

---

(١) سورة العنكبوت ؛ الآية : ١٣ ، سورة الروم ؛ الآية : ٥٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ حديث طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشّرة ، وأحد الستّة أصحاب الشورى :

١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في طلحة : والله ما استعجل متجرِّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يُطالب بدمه لأنَّه مظنَّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالِط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك ، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث : لئن كان ابن عفان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه . ولئِن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذِّرين فيه . ولئِن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع النّاس معه ، فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابه ، ولم تسلم معاذيره[1] .

قال إبن أبي الحديد في الشرح ج ٢ ص ٥٠٦ : فإن قلت : يُمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحة دم عثمان أوّلاً ثمَّ تبدَّل ذلك الإعتقاد بعد قتله فاعتقد أنَّ قتله حرامٌ وأنَّه يجب أن يقتصّ من قاتليه . قلت : لو اعترف بذلك لم يقسم عليٌّ عليه السلام هذا التقسيم وإنَّما قسَّمه لبقائه على اعتقاد واحد ، وهذا التقسيم مع فرض بقائه على اعتقاد واحد صحيحٌ لا مطعن فيه ، وكذا كان حال طلحة فإنَّه لَمْ يُنقل عنه انَّه قال : ندمت على ما فعلت بعثمان .

فإن قلت : كيف قال أمير المؤمنين : فما فعل واحدةً من الثلاث ؟ وقد فعل واحدة منها لأنَّه وازر قاتليه حيث كان محصوراً . قلت : مراده : إنَّه إن كان عثمان ظالماً وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ويمنعهم ممَّن يروم دماءهم ، ومعلوم أنّه لم يفعل ذلك . وإنّما وازرهم وعثمان حيّ وذلك غير داخل في التقسيم . اهـ .

٢ ـ أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر قال : قال عليٌّ لطلحة ـ وعثمان محصورٌ ـ : أنشدك الله إلّا رددت النّاس عن عثمان . قال : لا والله حتّى تعطي بنو أُميَّة الحقَّ من أنفسها .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٣٢٣ .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ فقال : فكان عليٌّ عليه السلام يقول : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل .

٣ ـ أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد قال : حدّثني عبدالله بن عبّاس بن أبي ربيعة قال : دخلت على عثمان رضي الله عنه فتحدَّثت عنه ساعة فقال : يابن عبّاس ! تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام مَن على باب عثمان فسمعنا كلاماً ، منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم مَن يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فبينا أنا وهو واقفان إذ مرَّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال : أين ابن عديس ؟ فقيل : ها هوذا . قال : فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثمَّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال : فقال لي عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبيدالله ثمَّ قال عثمان : اللّهمَّ اكفني طلحة بن عبيدالله فإنَّه حمل عليَّ هؤلاء وألَّبهم ، والله إنِّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يُسفك دمه ، إنّه انتهك منِّي ما لا يحلُّ له ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلّا في إحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجلٌ زنى بعد إحصانه فيرجم ، أو رجلٌ قتل نفساً بغير نفس . ففيمَ أُقتل ؟ قال : ثمَّ رجع عثمان . قال ابن عبّاس : فأردت أن أخرج فمنعوني حتّى مرَّ بي محمَّد بن أبي بكر فقال : خلّوه . فخلّوني . تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٢ ، الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٣ .

٤ ـ أخرج الطبري من طريق الحسن البصري : إنَّ طلحة بن عبيدالله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة : إنَّ رجلاً تنسق هذه عنه[1] وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عزَّ وجلَّ لغريرٌ بالله سبحانه ، فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسِّمها حتّى أصبح فأصبح وما عنده منها درهم . قال الحسن : وجاء ها هنا يطلب الدينار والدرهم . أو قال : الصفراء والبيضاء .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨١ .

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد : عنده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ حكى ابن أبي الحديد عن الطبري : إنَّ عثمان كان له على طلحة خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة : قد تهيّأ مالك فاقبضه فقال : هو لك يا أبا محمَّد معونة لك على مروءتك . قال : فكان عثمان يقول وهو محصورٌ جزاء سنِّمار[1] .

وقال ابن أبي الحديد : كان طلحة من أشدِّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك . روي أنَّ عثمان قال : ويلي على ابن الحضرميَّة ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرِّض على نفسي ، اللّهمَّ لا تمتِّعه به ولقِّه عواقب بغيه .

قال : وروى الناس الذين صنَّفوا في واقعة الدار : انَّ طلحة كان يوم قُتل عثمان مقنّعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام ، ورووا أيضاً : انَّه لمَّا امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دارٍ لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوَّروا منها على عثمان داره فقتلوه . شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٠٤ .

٦ ـ روى المدائني في كتاب مقتل عثمان : إنَّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام ، وإنَّ عليّاً لم يبايع الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيّام ، وانَّ حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعليّ على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفرٌ يسيرٌ من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُعرف بحشٍّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلمَّا صار هناك رجم سريره وهمُّوا بطرحه ، فأرسل عليٌّ إلى الناس يعزم عليهم ليكفّوا عنه ، فكفّوا فانطلقوا به حتّى دفنوه في حشِّ كوكب .

وأخرج المدائني في الكتاب قال : دُفن عثمان بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم وإبنة عثمان وثلاثة من مواليه فرفعت إبنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناساً هناك أكمنهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا : نعثل

---

(١) هذا الحديث أخرجه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٣٩ وليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد(فكان عثمان يقول وهو محصور : جزاء سنمار) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نعثل . فقالوا : الحائط الحائط . فدفن في حائط هناك .

٧ ـ أخرج الواقدي قال : لَمّا قُتل عثمان تكلّموا في دفنه فقال طلحة : يُدفن بدير سلع . يعني مقابر اليهود . ورواه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٣ غير أنَّ فيه مكان طلحة : رجل .

٨ ـ أخرج الطبري بالإسناد قال : حُصر عثمان وعليٌّ بخيبر فلمّا قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق فقلت : لأنطلقنَّ معه ولأسمعنَّ مقالتهما ، فلمّا دخل عليه كلّمه عثمان فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد فإنَّ لي عليك حقوقاً حقُّ الإسلام وحقُّ الإخاء ، وقد علمت أنَّ رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك ، وبيَّن حقَّ القرابة والصهر وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق ، فوالله لو لم يكن من هذا شيءٌ ثمَّ كنّا إنَّما نحن في جاهليَّة لَكان مُبطّاً على بني عبد مناف أن يبتزَّهم أخو بني تيم ملكهم . فتكلّم عليٌّ فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد : فكلّ ما ذكرتَ من حقّك عليَّ على ما ذكرت ، أمّا قولك : لو كنّا في جاهليّة لكان مُبطّاً على بني عبد مناف أن يبتزَّهم أخو بني تيم ملكهم ، فصدقت وسيأتيك الخبر . ثمَّ خرج فدخل المسجد فرأى أُسامة جالساً فدعاه فاعتمد على يده فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيدالله وهي رجّاسٌ من الناس فقام إليه فقال : يا طلحة ! ما هذا الأمر الذي وقعت فيه ؟ فقال : يا أبا حسن ! بعدما مسَّ الحزام الطبيين[1] فانصرف عليٌّ ولم يُحر إليه شيئاً حتّى أتى بيت المال فقال : افتحوا هذا الباب . فلم يقدر على المفاتيح فقال : اكسروه فكُسر باب بيت المال فقال : أخرجوا المال . فجعل يُعطي النّاس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع عليٌّ فجعلوا يتسلّلون إليه حتّى تُرك طلحة وحده ، وبلغ الخبر عثمان فسرَّ بذلك ، ثمَّ أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان فقلت : والله لأنظرنَّ ما يقول هذا فتتبَّعته فاستأذن على عثمان فلمّا دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ! أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمراً فحال الله بيني وبينه ، فقال عثمان : إنّك والله ما

---

(١) أي : اشتدَّ الامر وتفاقم . كتب عثمان الى عليّ عليه السلام : قد بلغ السيل الزّبى وجاوز الحزام الطبيين . تاج العروس ج ١ ص ٢٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جئت تائباً ولكنّك جئت مغلوباً ، الله حسيبك يا طلحة . تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٤ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ . تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ .

قال الأميني : هذا لفظ تاريخ الطبري المطبوع وقد لعبت به أيدي الهوى بالتحريف وزادت فيه حديث الإخاء بين عثمان وعليّ المتسالم على بطلانه بين فرق المسلمين ، كأنَّ القوم آلوا على أنفسهم بأن لا يدعوا حديثاً إلّا شوَّهوه بالإختلاق ، وقد حكى ابن أبي الحديد هذا الحديث عن تاريخ الطبري في شرحه ج ٢ ص ٥٠٦ ولا توجد فيه مسألة الإخاء وإليك لفظه :

روى الطبري في التاريخ : إنَّ عثمانَ لَمّا حُصر كان عليٌّ عليه السلام بخيبر في أمواله فلمّا قدم أرسل إليه يدعوه فلمّا دخل عليه قال له : إنَّ لي عليك حقوقاً : حقَّ الإسلام ، وحقّ النسب ، وحقّ مالي عليك من العهد والميثاق ، ووالله إن لو لم يكن من هذا كلّه شيءٌ وكنّا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزَّهم أخو تيم ملكهم يعني طلحة ، فقال له عليه السلام : سيأتيك الخبر . إلى آخر الحديث باللفظ المذكور .

وقد أسلفنا في الجزء الثالث ص ١٤٨ ـ ١٦٠ حديث المواخاة بأوسع ما يُسطر وفيه : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي واخى أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره .

٩ ـ ذكر البلاذري في حديث : إنَّ طلحة قال لعثمان : إنَّك أحدثت أحداثاً لَم يكن النَّاس يعهدونها ، فقال عثمان : ما أحدثت أحداثاً ولكنَّكم أظنّاء تفسدون عليَّ النّاس وتؤلّبوهم .

[الأنساب ج ٥ ص ٤٤]

١٠ ـ حكى البلاذري عن أبي مخنف وغيره : حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يُدخل عليه ، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرم ويُلبّي ويخرج فيأتي مكّة فلا يقدم عليه . فبلغهم قوله فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه حتّى يحكم الله بيننا وبينه ، واشتدَّ عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار ، ومنع من أن يُدخل إليه الماء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتّى غضب عليٌّ بن أبي طالب من ذلك ، فأُدخلت عليه روايا الماء .

[الأنساب ج ٥ ص ٧١]

١١ ـ في رواية للبلاذري ص ٩٠ : كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر ، ومنع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليٌّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة : أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره يعني بئر رومة ، ولا تقتلوه من العطش . فأبى فقال عليٌّ : لولا أنّي قد آليت يوم ذي خُشب أنّه إن لم يُطعني لا أردُّ عنه أحداً لأدخلت عليه الماء .

وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ : أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يحرِّض الفريقين جميعاً على عثمان ، ثمَّ إنَّ طلحة قال لهم : إنَّ عثمان لا يبالي ما حضرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

١٢ ـ قال البلاذري : قالوا : مرَّ مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيدالله فقال : يا مجمِّع ما فعل صاحبك ؟ قال : أظنكم والله قاتليه . فقال طلحة : فإن قُتل فلا ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٤]

١٣ ـ وروى البلاذري في حديث : وسلّم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردُّوا عليه فقال . يا طلحة ! ما كنت أرى أنّه أعيش إلى أن أُسلم عليك فلا تردّ عليَّ السَّلام .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٦]

كأنَّ هذه القضيَّة غير ما وقع في أيّام الحصار الثاني ممّا ذكره الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ قال : أشرف عثمان عليهم ذات يوم وقال : السَّلام عليكم . فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه إلّا أن يردَّ في نفسه . وسيوافيك حديث جبلة بن عمرو الأنصاري ونهيه الناس عن ردِّ السَّلام على عثمان إذا سلّمهم .

١٤ ـ أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال : كان طلحة قد استولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أمر الناس في الحصار ، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب إلى عليّ بهذا البيت :

وإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلاّ فأدركني ولمّا أُمزَّق[1]

وقال أبو مخنف : صلّى عليٌّ بالناس يوم النحر وعثمان محصورٌ فبعث إليه عثمان ببيت الممزّق ، وكان رسوله به عبدالله بن الحارث ففرَّق عليٌّ الناس عن طلحة ، فلمّا رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان : يابن الحضرميَّة ! ألَّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتّى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لا قَبل الله ممّن قبل عذرك .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٧]

١٥ ـ روى البلاذري بإسناده من طريق ابن سيرين أنَّه قال : لم يكن من أصحاب النبيِّ ﷺ أشدَّ على عثمان من طلحة . الأنساب ج ٥ ص ٨١ ، وذكره ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٩ .

١٦ ـ أخرج ابن سعد وابن عساكر قال : كان طلحة يقول يوم الجمل : إنَّا داهنّا في أمر عثمان فلا نجد شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه ، اللهمَّ خذ لعثمان منِّي اليوم حتّى ترضى . طبقات ابن سعد ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤ ، تذكرة السبط ص ٤٤ .

١٧ ـ أخرج ابن عساكر قال : كان مروان بن الحكم في الجيش ـ يوم الجمل ـ فقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم ، فهو الذي رمى طلحة فقتله ، ثمَّ قال لأبان بن عثمان : كفيتك بعض قتلة أبيك ، وكان السهم قد وقع في عين ركبته ، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال : دعوها فإنَّها سهمٌ أرسله الله . [تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤]

قال أبو عمر في الإستيعاب : لا يختلف العلماء الثقات في أنَّ مروان قتل طلحة يومئذٍ وكان في حزبه ، روى عبد الرَّحمٰن بن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحة يوم الجمل :

---

(١) هذا البيت للممزق العبدي شاش بن لها بن الاسود . وبه سمي الممزق .

نـدمت نـدامـة الكُسَعيِّ لمّـا شريت رضا بني جرم برغمي[١]

اللهمَّ خذ منِّي لعثمان حتى يرضى .

«بيـان» الكسـع : حيٌّ من قيس عيـلان ، وقيـل : هم حيٌّ من اليمن رمـاة ، ومنهم الكسعيُّ الذي يضرب به المثل في الندامة وهو رجلٌ رامٍ رمى بعدما أسـدف الليل عِيراً فأصابه وظنَّ أنَّه أخطأه فكسَّر قوسه وقيل : وقطع إصبعه ثمَّ ندم من الغـد حين نظر إلى العِير مقتولاً وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكلِّ نادم على فعل يفعله . وإيّاه عنى الفرزدق بقوله :

نـدمت نـدامـة الكُسعيِّ لمّـا غـدت منِّي مـطلّقـةً نـوار

وقال آخر :

نـدمت نـدامـة الكُسعيِّ لمّـا رأت عينـاه مـا فـعلت يـداه

وقيل : كان إسم الكُسعيِّ محارب بن قيس .

وأخـرج أبو عمـر من طريق ابن أبي سبـرة قال : نـظر مروان إلى طلحـة يـوم الجمل فقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . فرماه بسهم فقتله .

وأخرج من طريق يحيى بن سعيد عن عمِّه أنَّه قال : رمى مـروان طلحة بسهم ثمَّ التفت إلى أبان بن عثمان فقال : قد كفينا بعض قتلة أبيك .

وأخـرج من طريق قيس نقـلاً عن ابن أبي شيبة أنَّ مـروان قتل طلحـة ، ومن طريق وكيع وأحمـد بن زهير بـإسنادهمـا عن قيس بن أبي حازم حـديث : لا أطلب بثاري بعد اليوم . وزاد في «اسد الغابة» ما مرَّ من قول مروان لأبان .

وقـال ابن حجر في الإصـابة ج ٢ ص ٢٣٠ : روى ابن عسـاكر من طـرق[٢]

---

(١) هذا البيت معه ثلاثة أبيات أُخر ذكـرها ابن الاثيـر في اسد الغـابة ج ٣ ص ١٠٤ ، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٤٤ .

(٢) حذفتها يد الطبع الامينة على ودائع العلم حيا الله الامانة . لقد لعبت يد الشيخ عبد القادر بن بدران بتاريخ ابن عساكر لمّا هذبه ورتبـه على زعمه فـأخرجـه عما هـو عليه ، وجعله مسيخـاً مشوّهاً بإدخال آرائه الساقطة فيه ، وأسقط منه أحاديث كثيرة متناً وإسناداً ممّا لا يروقه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متعددة : إنَّ مروان بن الحكم هو الذي رماه فقتله ، منها : ما أخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارود بن أبي سبرة قال : لَمّا كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال : لا أطلب ثاري بعد اليوم فنزع له بسهم فقتله .

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم أنَّ مروان بن الحكم رأى طلحة في الخيل فقال : هذا أعان على عثمان فرماه بسهم في ركبته ، فما زال الدم يسيح حتّى مات . وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧٠ .

أخرجه عبد الحميد بن صالح عن قيس ، وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذٍ بسهم فوقع في عين ركبته ، فما زال الدم يسيح إلى أن مات .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧٠ من طريق عكراش قال : كنّا نقاتل عليّاً مع طلحة ومعنا مروان قال : فانهزمنا فقال مروان : لا أُدرك بثاري بعد اليوم من طلحة فرماه بسهم فقتله .

وقال محبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٥٩ : المشهور أنَّ مروان بن الحكم هو الذي قتله رماه بسهم وقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . وذلك أنَّ طلحة زعموا أنَّه كان ممَّن حاصر عثمان واشتدَّ عليه .

وأخرج البلاذري في «الأنساب» ص ١٣٥ في حديث عن روح بن زِنباع : إنَّه قال : رمى مروان طلحة فاستقاد منه لعثمان .

يوجد حديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيدالله أخذاً بثار عثمان في مروج الذهب ج ٢ ص ١١ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٧٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤ ، صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ١٣٢ ، أُسد الغابة ج ٣ ص ٦١ ، دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٤٧ ، تذكرة السبط ص ٤٤ ، مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٧ ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١ ، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٨٩ .

١٨ ـ أخرج ابن سعد بالإسناد عن شيخ من كَلب قال : سمعت عبدالملك بن مروان يقول : لولا أنَّ أمير المؤمنين مروان أخبرني أنَّه قتل طلحة ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تركت أحداً من ولد طلحة إلّا قتلته بعثمان .

١٩ ـ أخرج الحميدي في النوادر من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن مروان قال : دخل موسى بن طلحة على الوليد فقال له الوليد : ما دخلتَ عليَّ قطُّ إلّا هممتُ بقتلك لولا أنَّ أبي أخبرني أنَّ مروان قتل طلحة .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٢]

٢٠ ـ أخرج الطبري في حديث : فقام طلحة والزبير خطيبين (يعني بالبصرة) فقالا : يا أهل البصرة توبةٌ بحوبة ، إنّما أردنا أن يُستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نُرد قتله فغلب سفهاء النّاس الحلماء حتّى قتلوه . فقال النّاس لطلحة : يا أبا محمّد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا . [تاريخ الطبري : ج ٥ ص ١٧٩]

٢١ ـ ذكر المسعودي في حديث وقعة الجمل : ثمَّ نادى عليٌّ رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمّد ! ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . قال عليٌّ : قتل الله أولانا بدم عثمان[١] .

[مروج الذهب ج ٢ ص ١١]

٢٢ ـ لمّا نزل طلحة والزبير السبخة[٢] أتاهما عبدالله بن الحكيم التميمي لكتب كانا كتباها إليه فقال لطلحة : يا أبا محمد ! أما هذه كتبك إلينا ؟ قال : بلى . قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلّا هذه الدنيا ، مهلاً إذا كان هذا رأيك فَلِمَ قبلت من عليّ ما عرض عليك من البيعة ؟ فبايعته طائعاً راضياً ثمَّ نكثت بيعتك ، ثمَّ جئت لتدخلنا في فتنتك . الحديث[٣] .

٢٣ ـ قال ابن قتيبة : ذكروا أنّه لَمّا نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة إصطفَّ لها النّاس في الطريق يقولون : يا أُمَّ المؤمنين ! ما الذي أخرجك من بيتكِ ؟ فلمّا أكثروا عليها تكلّمت بلسان طلق وكانت من أبلغ النّاس فحمدت الله وأثنت عليه ثمَّ

(١) لقد استجاب الله تعالى دعاء الامام عليه السلام فقتل طلحة في اسرع وقت .

(٢) السبخة بالتحريك موضع بالبصرة .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالت : أيُّها النّاس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يُستحلَّ دمه[١] ولقد قُتل مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل ، وإنَّ من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثمّ يُردُّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطّاب . فمن قائل يقول : صدقت . وآخر يقول : كذبت . فلم يبرح النّاس يقولون ذلك حتّى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان . فقال لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال نعم . قال : فما ردَّك على ما كنت عليه ، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلِّبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه ؟ وقد زعمتما أنَّ عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنَّ منه فأبيتما إلاّ أن تقدِّماه لقرابته وسابقته فبايعتماه ، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما ؟ قال طلحة : دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس ، فعلمنا حين عرض علينا أنَّه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار ، وخفنا أن نردَّ بيعته فنقتل فبايعناه كارهين ، قال : فما بدا لكما في عثمان ؟ قال : ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إيّاه ، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلاّ الطلب بدمه . قال : ما تأمراني به ؟ قال : بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته ، قال : أرأيتما إن أتانا بعدكما مَن يدعونا إليه ما نصنع ؟ قالا : لا تبايعه . قال ما أنصفتما أتأمراني أن أُقاتل عليّاً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة مَن لا بيعة له عليكما ؟ اما إنَّنا قد بايعنا عليّاً ، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا . قال : ثمَّ تفرَّق الناس فصارت فرقةٌ مع عثمان بن حنيف ، وفرقةٌ مع طلحة والزبير . ثمَّ جاء جارية بن قدامة فقال : يا أُمَّ المؤمنين ! لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتكِ على هذا الجمل الملعون ، إنَّه كانت لكِ من الله حرمة وستر ، فهتكتِ سترك ، وأبحتِ حرمتكِ ، إنَّه من رأى قتالكِ فقد رأى قتلكِ ، فإن كنت يا أُمّ المؤمنين ، أتيتينا طائعة ، فارجعي إلى منزلكِ ، وإن كنت أتيتينا مستكرهة ، فاستعتبي[٢] .

---

(١) أنّى هذا المحال والتمحل من قوارصها التي مرّت في ص ١٠١ ـ ١١٠ .

(٢) الامامة والسياسة ج ١ ص ٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٤ ـ ذكر أبو مخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة[١] لمولانا أمير المؤمنين قوله : اللهمَّ إنَّ طلحة نكث بيعتي وألَّب على عثمان حتى قتله ثمَّ عضهني به ورماني اللهمَّ فلا تمهله ، اللّهمَّ إنَّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليَّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت[٢] .

٢٥ ـ أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٨٣ من طريق علقمة بن وقاص الليثي قال : لَمّا خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحبُّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بلحيته على زَوره[٣] فقلت : يا أبا محمَّد ! أرى أحبَّ المجالس إليك أخلاها وأنت ضاربٌ بلحيتك على زورك ، إن كرهت شيئاً فاجلس . قال : فقال لي : يا علقمة بن وقّاص ! بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً إنَّهُ كان منّي في عثمان شيءٌ ليس توبتي إلاّ أن يُسفك دمي في طلب دمه .

الوجه في هذه التوبة إن صحَّت وكان الموؤود من النفوس المحترمة أن يسلّم نفسه لأولياء القتيل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه ، لا أن يلقح فتنة كبرى تُراق فيها دماءٌ بريئة من دم عثمان ، وتزهق أنفسٌ لم تكن هنالك في حَلّ ولا مرتحل ، فيكون قد زاد ضغثاً على ابّالة ، وجاء بها حشفاً وسوء كيلة .

٥ ـ حديث الزبير بن العوام أحد العشرة المبشَّرة ، وأحد أصحاب الشورى الستّ :

١ ـ أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل : خرج عليٌّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا فقال عليٌّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منّا . فقال عليٌّ : لستُ[٤] له أهلاً بعد عثمان رضي الله عنه ؟ قد كنّا

---

(١) ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٠١ .

(٢) يا لها من دعوة مستجابة أصابت الرجلين من دون مهلة .

(٣) الزور : الصدر وقيل : وسط الصدر . وقيل : أعلى الصدر . وقيل : ملتقى أطراف عظام الصدر .

(٤) في الكامل لابن الاثير : ألست .

نعدُّك من بني عبد المطلب حتّى بلغ إبنك ابن السوء ففرَّق بيننا وبينك . وعظَّم عليه أشياء فذكر أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ عليهما فقال لعليٍّ : ما يقول ابن عمَّتك ؟ ليقاتلنّك وهو لك ظالمٌ[1] فانصرف عنه الزبير وقال : فإنّي لا أُقاتلك ، فرجع إلى إبنه عبدالله ، فقال : مالي في هذا الحرب بصيرة . فقال له إبنه : إنَّك قد خرجت على بصيرة ، ولكنّك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أنّ تحتها الموت فجبنت ، فأحفظه حتّى أرعد وغضب وقال : ويحك إنّي قد حلفت له ألاّ أُقاتله . فقال له إبنه : كفِّر عن يمينك بعتق غلامك (سَرجيس) فأعتقه وقام في الصفِّ معهم ، وكان عليٌّ قال للزبير : أتطلب منّي دم عثمان ؟ وأنت قتلته ، سلّط الله على أشدِّنا عليه اليوم ما يكره[2] .

وقول عليّ عليه السلام للزبير : أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته . الخ . أخرجه أيضاً الحافظ العاصمي في زين الفتى . وفي لفظ المسعودي : قال عليٌّ : ويحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان . قال عليٌّ : قتل الله أولانا بدم عثمان .

قال الأميني : إنّما حلف الزبير على ترك القتال لأنَّه وجده بعد تذكير الإمام عليه السلام له الحديث النبويَّ ، وبعد إتمام الحجّة عليه بذلك محرَّماً عليه في الدين ، وأنَّه من الظلم الفاحش الذي استقلَّ العقل بتحريمه ، فهل التكفير بعتق الغلام يُبيح ذلك المحرَّم بالعقل والشريعة ؟ ويسوِّغ الخروج على الإمام المفترض طاعته ؟ لا . لكن تسويل عبدالله هو الذي فرَّق بين الزبير وبين آل عبدالمطلب ، وأباح له كلَّ محظور ، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النصِّ النبويِّ ، وصدَّق الخُبر الخَبر .

٢ ـ ذكر المسعودي في حديث : إنّ مروان بن الحكم قال ـ يوم الجمل ـ : رجع الزبير ، يرجع طلحة ، ما أُبالي رميت ها هنا أم ها هنا ، فرماه في أكحله فقتله .

[مروج الذهب ج ٢ ص ١١]

---

(١) هذا الحديث أخرجه جمع من الحفاظ كما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٢٤٠

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٠٤ ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٠ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٠٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٤٠٤ : كان طلحة من أشدِّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك ، رووا أنَّ الزبير كان يقول : أُقتلوه فقد بدَّل دينكم . فقالوا له : إنَّ إبنك يحامي عنه بالباب . فقال : ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدىء بابني ، إنَّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً .

٤ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٦ من طريق أبي مخنف قال : جاء الزبير إلى عثمان فقال له : إنَّ في مسجد رسول الله ﷺ جماعةٌ يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك بالحقِّ ، فأخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبيِّ ﷺ ، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسِّلاح فقال : يا زبير ! ما أرى أحداً يأخذ بحقّ ، ولا يمنع من ظلم ، ودخل ومضى الزبير إلى منزله .

٥ ـ قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٤ : وجدت في كتاب لعبدالله عن الصالح العجلي ذكروا : انَّ عثمان نازع الزبير فقال الزبير : إن شئت تقاذفنا ؟ فقال عثمان : بماذا أبالبعير يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطبع خباب ، وريش المقعد ، وكان خباب يطبع السيوف ، وكان المقعد يريش النبل .

وقال ابن المغيرة بن الأخنس متغنّياً على قعود له :

حُكيم وعمّار الشجا ومحمّد ... وأشتر والمكشوح جرّوا الدواهيا

وقد كان فيها للزبير عجاجة ... وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا[1]

٦ ـ حديث طلحة والزبير :

١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في شأن الرجلين : والله ما أنكروا عليَّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وإنَّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنَّ لهم نصيبهم منه ، وإن كانوا وُلوه دوني فما الطلبة إلاّ قِبَلهم ، وإنَّ أوَّل عدلهم للحكم على أنفسهم ، وإنَّ معي لبصيرتي ما لبَّست ولا لُبِّس عليَّ ، وإنَّها للفئة الباغية فيها الحما والحُمة[2] .

[نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٤]

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصر ص ٦٠ ، ٦٦ .

(٢) قال ابن أبي الحديد : كنى عليّ عليه السلام عن الزوجة بالحمة . وهي : سم العقرب . والحما يضرب مثلاً لغير الطيب ولغير الصافي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي لفظ أبي عمر في «الإستيعاب» في ترجمة طلحة بن عبيدالله : إنّي مُنيت بأربعة : أدهى النّاس وأسخاهم طلحة ، وأشجع النّاس الزبير ، وأطوع النّاس في النّاس عائشة ، وأسرع النّاس إلى الفتنة يعلى بن منية ، والله ما أنكروا عليَّ شيئاً منكراً ، ولا استأثرت بمال ، ولا ملت بهوى ، وانّهم ليطلبون حقّاً تركوه ، ودماً سفكوه ، ولقد ولوه دوني ، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه ، وما تبعة عثمان إلاّ عندهم ، وانّهم لهم الفئة الباغية . إلى قوله عليه السلام : والله إنَّ طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وأنّهم مبطلون .

٢ ـ من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة : أمّا بعد : فإنّي أُخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ، إنَّ النّاس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أُكثر استعتابه ، وأُقلّ عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأُتيح له قومٌ فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرَهين ولا مجبَرين بل طائعين مخيَّرين .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٢ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٨]

قال إبن أبي الحديد في الشرح ج ٣ ص ٢٩٠ : أمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه (على عثمان) والوجيف : سير سريعٌ وهذا مثلٌ يقال للمستمرّين في الطعن عليه حتى انَّ السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره ، والحداء العنيف أرفق ما يحرِّضان به عليه .

٣ ـ قال البلاذري : حدَّثني المدائني عن إبن الجعدبة قال : مرَّ عليٌّ بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدُف وتقول :

ظُلامة عثمان عند الزبير ... وأوتر منه لنا طلحهْ
هما سعراها بأجذالها ... وكانا حقيقين بالفضحهْ

فقال عليٌّ : قاتلها الله ، ما أعلمها بموضع ثأرها ؟

[الأنساب ج ٥ ص ١٠٥]

٤ ـ أخرج الطبري من طريق ابن عبَّاس قال : قدمت المدينة من مكّة بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيّام فجئت عليّاً أدخل عليه فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلّم عليّ فقال : متى قدمت ؟ فقلت : الساعة . فدخلت على عليّ فسلّمت عليه فقال لي : لقيت الزبير وطلحة ؟ قال : قلت : لقيتهما بالنواصف . قال : مَن معهما ؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش . فقال عليٌّ : أما إنّهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون : نطلب بدم عثمان والله نعلم أنّهم قتلة عثمان .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٠]

٥ ـ أخرج الطبري عن عمر بن شبه من طريق عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال : لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال : أين تذهبون ؟ وثأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم[1] ثمَّ ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم . قالوا : بل نسير فلعلّنا نقتل قتلة عثمان جميعاً . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ أصدقاني . قالا : لأحدنا أيّنا اختاره الناس . قال : بل اجعلوه لولد عثمان فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه . قالا : ندعُ شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : أفلا أراني أسعى لأُخرجها من بني عبد مناف ؟ فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن اسيد فقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما رأى سعيد من كان ها هنا من ثقيف فليرجع فرجع . الحديث .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٨]

٦ ـ وفي كتاب كتبه ابن عبّاس إلى معاوية جواباً : وأمّا طلحة والزبير فإنّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه ، ثمَّ خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغي . كتاب نصر بن مزاحم ص ٤٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

٧ ـ قدم على حابس بن سَعْد سيِّد طيّ بالشام ابن عمّه فأخبره أنّه شهد قتل عثمان بالمدينة المنوَّرة وسار مع عليّ إلى الكوفة وكان له لسانٌ وهيبة فغدا به حابس إلى معاوية فقال : هذا ابن عمّي قدم من الكوفة ، وكان مع عليّ وشهد قتل عثمان

---

(١) يعني طلحة والزبير وأصحابهما .

بالمدينة وهو ثقةٌ فقال معاوية : حدِّثنا عن أمر عثمان . قال : نعم وليه محمَّد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر ، وتجرَّد في أمره ثلاثة أنفار: عدي بن حاتم ، والأشتر النخعي ، وعمرو بن الحمق ، ودبَّ[1] في أمره رجلان : طلحة والزبير ، وأبرأ الناس منه عليٌّ بن أبي طالب ثمَّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلّت[2] النعل ، وسقط الرداء ، ووطىء الشيخ ولم يُذكر عثمان ولم يذكروه . الخ .

(الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٤ ، كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٩) .

٨ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٨ بإسناده عن إسرائيل بن موسى أنَّه قال : سمعت الحسن يقول : جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس : ما جاء بكم ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال الحسن : أيا سبحان الله ! أفما كان للقوم عقولٌ فيقولون : والله ما قتل عثمان غيركم ؟

٩ ـ لَمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حُفر أبي موسى[3] قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذٍ عامل عليّ على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدؤلي فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت : أطلب بدم عثمان . قال : إنَّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحدٌ ، قالت . صدقت ولكنهم مع عليٍّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله ، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟ فقال لها : ما أنتِ من السوط والسيف ؟ إنَّما أنتِ حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمركِ أن تقرِّي في بيتك ، وتتلي كتاب ربِّك ، وليس على النساء قتال ، ولا لهنَّ الطلب بالدماء ، وإنَّ عليّاً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً فإنَّهما إبنا عبد مناف . فقالت : لست بمنصرفة حتى أمضي لما

---

(١) لفظ ابن مزاحم : وجدّ في أمره رجلان .

(٢) وفي لفظ : ضاعت النعل

(٣) حفر ابي موسى هي ركايا حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة الى مكة بينها وبين البصرة خمس ليال .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قدمت إليه ، أفتظنُّ يا أبا الأسود انّ أحداً يقدم على قتالي ؟ قال : أما والله لتقاتلنَّ قتالاً أهونه الشديد . ثمَّ قام فأتى الزبير فقال : يا أبا عبدالله ! عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذٌ بقائم سيفك تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من إبن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك ؟ فذكر له دم عثمان ، قال : أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا . قال : فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول . فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيِّه مصرّاً على الحرب والفتنة . الحديث .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨١ .

١٠ ـ خرج عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً فقالا : نطلب بدم عثمان . فقال لهما : وما أنتما وذاك ؟ أين بنوه ؟ أين بنو عمِّه الذين هم أحقّ به منكم ؟ كلّا والله ، ولكنّكما حسدتماه حيث إجتمع النّاس عليه ، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له ، وهل كان أحدٌ أشدَّ على عثمان قولاً منكما ؟ فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمَّه . الحديث .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠]

١١ ـ لَمّا نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد ابن العاصي على نجيب له فأشرف على النّاس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكّأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها : أين تريدين يا أُمَّ المؤمنين ؟ قالت : أُريد البصرة . قال : وما تصنعين بالبصرة ؟ قالت : أطلب بدم عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معكِ ، ثمَّ أقبل على مروان فقال له : أين تريد أيضاً ؟ قال : البصرة . قال : وما تصنع بها ؟ قال : أطلب قتلة عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، إنَّ هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلمّا غلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة .

ثمَّ قال المغيرة بن شعبة : أيُّها النّاس إن كنتم إنَّما خرجتم مع أُمِّكم ؟ فارجعوا بها خيراً لكم ، وإن كنتم غضبتم لعثمان ؟ فرؤساؤكم قتلوا عثمان ، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً ، فبيِّنوا ما نقمتم عليه ، أنشدكم الله ، فتنتين في عام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحد ؟ فأبوا إلاّ أن يمضوا بالنّاس .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٥]

١٢ ـ لمّا نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف : نعذر إليهما برجلين . فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدّؤلي فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا : يا طلحة ! فأجابهما فتكلّم أبو الأسود الدّؤلي فقال : يا محمّد ! إنّكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله ، وبايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته ، فلم نغضب لعثمان إذ قُتل ، ولم نغضب لعليّ إذ بويع ، ثمّ بدا لكم فأردتم خلع عليّ ونحن على الأمر الأوّل ، فعليكم المخرج ممّا دخلتم فيه . ثمّ تكلّم عمران فقال : يا طلحة ! إنّكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ، ثمّ بايعتم عليّاً وبايعنا مَن بايعتم ، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا ؟ وإن كان خطأ ، فحظُّكم منه الأوفر ، ونصيبكم منه الأوفى ، فقال طلحة : يا هذان إنّ صاحبكما لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه ، وأيم الله ليسفكنّ دمه . فقال أبو الأسود : يا عمران ! أمّا هذا فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك . ثمّ أتيا الزبير فقالا : يا أبا عبدالله ! إنّا أتينا طلحة . قال الزبير : إنّ طلحة وإيّاي كروح في جسدين ، وإنّه والله يا هذان ! قد كانت منّا في عثمان فلتات إحتجنا فيها إلى المعاذير ، ولواستقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه الحديث .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٦]

١٣ ـ من خطبة لعمّار بن ياسر خطبها بالكوفة فقال: يا أهل الكوفة ! إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أُمورنا ، إنّ قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك ، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجّيهم فيه ، أحيا الله من أحيا ، وأمات مَن أمات ، وإنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن وآخر من أمر ، وكانا أوّل من بايع عليّاً ، فلمّا أخطأهما ما أمّلاه نكثا بيعتهما من غير حدَث . الحديث .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٩]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤ ـ روى البلاذري عن المدائني قال : ولّى عبدالملك علقمة بن صفوان بن المحرِّث مكّة فشتم طلحة والزبير على المنبر فلمّا نزل قال لأبان بن عثمان : أرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : لا والله ، ولكن سؤتني ، بحسبي بليَّة أن تكون شركاً في دمه .

[الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٢٠]

١٥ ـ أخرج أبو الحسن عليٌّ بن محمَّد المدائني من طريق عبدالله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين منها قوله : بايعني هذان الرجلان في أوَّل مَن بايع ، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرِّقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم ، اللّهمَّ فخذهما بما عملا أخذةً واحدةً رابية ، ولا تنعش لهما صرعة ، ولا تقل لهما عثرة ، ولا تمهلهما فواقا ، فإنَّهما يطلبان حقّاً تركاه ، ودماً سفكاه ، اللّهمَّ إنِّي أقتضيك وعدك فإنّك قلت وقولك الحقّ لمن بُغي عليه لينصرنَّه الله ، اللهمّ فانجز لي موعدك ، ولا تكلني إلى نفسي إنَّك على كلِّ شيء قدير .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢]

١٦ ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ : فما بال طلحة والزبير ؟ وليسا من هذا الأمر بسبيل ، لم يصبرا عليَّ حولاً ولا أشهراً حتّى وثبا ومَرقا ، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أُمّاً قد فطمت ، ويحييان بدعةً قد أُميتت ، أدم عثمان زعما ؟ والله ما التبعة إلّا عندهم وفيهم ، وإنَّ أعظم حجَّتهم لعلى أنفسهم ، وأنا راضٍ بحجَّة الله عليهم وعلمه فيهم . الحديث .

١٧ ـ من كلمة لمالك الأشتر : لعمري يا أمير المؤمنين ! ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيَّل ، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثتَ ولا جور صنعتَ ، زعما أنَّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فإنَّهما أوَّل من ألَّب عليه وأغرى الناس بدمه ، وأُشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه لنلحقنَّهما بعثمان فإنَّ سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٣]

قال الأميني : انَّ الأخذ بمجامع هذه الأخبار البالغة خمسين حديثاً يعطينا درساً ضافياً بأنَّ الرجلين هما أساس النهضة في قصَّة عثمان ، وهما اللذان أسعرا عليه الفتنة ، وأنَّهما لم يريا حرجاً في إراقة دمه ، وقد استباحا عندئذٍ ما يحرم ارتكابه في المسلمين إلّا أن يكون مهدور الدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك ، فلم يتركاه حتى أوديا به ، وكان لطلحة هنالك مواقف مشهودة ، فمنع عنه الماء الذي هو شرعٌ سواءٌ بين المسلمين ، وانَّه لم يردَّ على عثمان لَمّا سلّم عليه ومن الواجب ردُّ السَّلام على كلِّ مسلم ، وقد منع عن دفنه ثلاثاً في مقابر المسلمين ، وقد أوجبت الشريعة الإسلاميَّة المبادرة إلى دفن المسلم ، وقد أمر برمي الجنازة ورمي من يتولّى تجهيزها بالحجارة والمسلم حرمته ميتاً كحرمته حيّاً ، فلم يرض طلحة بالأخير إلّا دفنه في مقبرة اليهود «حشّ كوكب» وهل لهذه الأعمال وجهٌ بعد حفظ كرامة صحبتهما ؟ والقول بعدالة الصحابة كلّهم ؟ وقبول ما ورد في الرجلين انَّهما من العشرة المبشَّرة ،إلّا أن يُقال : إنَّهما كانا يريان القتيل خارجاً عن حوزة المسلمين ، وإلّا لردعتهما الصحبة والعدالة والبشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أيّ من ساقة المسلمين فضلاً عن خليفتهم .

ونحن في هذا المقام نقف موقف المتحايد ، ولسنا ها هنا إلّا في صدد بيان آراء الصحابة الأوَّلين في عثمان ، وما أفضناه من رأيهما كان معروفاً عنهما في وقتهما ، ولم يزل كذلك في الأجيال المتأخِّرة عنهما حتّى العصر الحاضر ، إن كانت الآراء تُؤخذ من المصادر الوثيقة ، وكانت حرَّة غير مشوبة بحكم العاطفة ، نزهة عن الميول والشهوات .

وأمّا ما أظهراه من التوبة بعد أن نكثا البيعة الصحيحة المشروعة فقد قدَّمنا وجهها في ص ١٢٧ في طلحة ويشاركه في ذلك الزبير أيضاً ، فقد قفّيا الحوبة بالحوبة لا بالتوبة حسبا (إن كانا يصدقان) أنها تمحو السيّئة ، بل االحوبة الأخيرة

أعظم عند الله، فقد أراقا بها من الصفّين في واقعة الجمل دماءً تعدُّ بالآلاف بريئة من دم عثمان .

وهتكا حرمة رسول الله بإخراج حشيَّة من حشاياه من خدرها ، وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم نساءه عن ذلك ، وأوقفاها في محتشد العساكر وجبهة القتال الدامي ، وقصدا قتل إمام الوقت المفترض طاعته الواجب حفظه ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والله من ورائهم محيط .

٧ ـ حديث عبدالله بن مسعود الصحابيّ البدريّ العظيم :

مرَّ في هذا الجزء ص ١٩-٢٢ شطراً من أحاديثه المعربة عن رأيه السديد في عثمان وعمّا كان حاملاً بين جنبيه من الموجدة عليه ، وانَّه كان من الناقمين عليه يعيبه ويقدح فيه ، أفسد عليه العراق بذكر محدثاته ، وأخذه عثمان بذلك أخذاً شديداً وحبسه وهجره ومنعه عطاءه سنين وأمر به وأُخرج من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً ، وضُرب به الأرض فدقَّ ضلعه وضربه أربعين سوطاً .

وكان ابن مسعود على اعتقاده السيِّء في الرجل مغاضباً له حتّى لفظ نفسه الأخير وأوصى أن لا يصلّي عليه ، وفي الفتنة الكبرى ص ١٧١ : روي أنَّ ابن مسعود كان يستحلُّ دم عثمان أيّام كان في الكوفة ، وهو كان يخطب الناس فيقول : إنَّ شرَّ الامور محدثاتها ، وكلّ محدث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار[1] يعرض في ذلك بعثمان وعامله الوليد . اهـ .

هذا رأي ذلك الصحابيِّ العظيم في الرَّجل ، فبأيّ تمحُّل يتأتّى للباحث تقديس عثمان بعدما يستحلُّ دمه أو يشدِّد النكير عليه ويراه صاحب محدثات وبدع مثل إبن مسعود أشبه النّاس هدياً ودلاًّ وسمتاً بمحمَّد نبيِّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم ؟

٨ ـ حديث عمار بن ياسر البدريِّ العظيم الممدوح بالكتاب والسنّة :

١ ـ من خطبة لعمّار خطبها يوم صفِّين قال :

---

(١) راجع ص ١٩ من هذا الجزء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنّهم يطلبون بدم ظالم ، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو دَرَس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لإحداثه ، فقالوا : إنّه لم يُحدث شيئاً ، وذلك لأنّه مكّنهم من الدُنيا فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يبالون لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنّهم يطلبون بدم ، ولكن القوم ذاقوا الدُنيا فاستحلوها واستمرأوها وعلموا : أنّ صاحب الحقّ لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها ، إنّ القوم لم يكن لهم سابقةٌ في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتل إمامنا مظلوماً ليكونوا جبابرة وملوكاً ، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ . الخ .

وفي لفظ نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : امضوا (معي) عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله ، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان . إلخ . وله لفظٌ آخر يأتي بُعيد هذا .

وفي لفظ الطبري في تاريخه : أيُّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم إبن عفّان ويزعمون أنّه قتل مظلوماً . إلخ .

راجع كتاب صفّين لابن مزاحم ط مصر ص ٣٦١ ، ٣٦٩ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣ ، شرح إبن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٦ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٨١ .

٢ ـ خطب معاوية يوم وفد إليه وفدٌ[1] بعثه إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال :

أمّا بعد فإنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرّق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله ، فنحن لا نردُّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنّهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

---

(١) كان فيه : عديّ بن حاتم ، يزيد بن قيس ، شبث بن ربعي ، زياد بن حفصة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال له شبث بن ربعي : أيسرُّك يا معاوية ! أنّك أُمكنت من عمّار تقتله ؟ وفي لفظ ابن كثير : لو تمكّنت من عمّار أكُنت قاتله بعثمان ؟ فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أُمكنت[١] من إبن سميَّة ما قتلته بعثمان رضي الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان .

فقال شبث : وإلّه الأرض وإلّه السّماء ما عدلت معتدلاً . لا والذي لا إلّه إلّا هو ، لا تصل إلى عمّار حتّى تندر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاءُ عليك برحبها . إلخ .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٢٣ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٧ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥٨ .

٣ ـ أرسل أمير المؤمنين إبنه الحسن وعمّار بن ياسر إلى الكوفة فلمّا قدماها كان أوّل مَن أتاهما مسروق بن الأجدع فسلّم عليهما وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! علام قتلتم عثمان رضي الله عنه ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا[٢] . فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين .

فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمّه إليه وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! أعدوت[٣] فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجّار ؟ قال : لم أفعل ولم يسؤني ، فقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال : يا أبا موسى ! لِمَ تُثبِّط الناس عنّا ؟ فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقت بأبي أنت وأُمّي ، ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّها ستكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب ، وقد جعلنا الله عزَّ وجلَّ إخواناً وحرَّم

(١) في لفظ ابن مزاحم : لو امكنني صاحبكم من ابن سمية .
(٢) أبشار جمع البشرة : أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان .
(٣) شرح ابن أبي الحديد : غدوت فيما غدا .

علينا أموالنا ودماءنا وقال : ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله بكم رحيماً﴾ . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ومَن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنَّم﴾ . الآية . فغضب عمّار وساءه وقام وقال : يا أيُّها الناس إنَّما قال رسول الله له خاصَّة : أنت فيها قاعداً خيرٌ منك قائماً . وقام رجلٌ مِن بني تميم فقال لعمّار : أُسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان . الحديث[1] .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٨٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٧ .

٤ ـ قال الباقلاني في التمهيد ص ٢٢٠ : روي أنَّ عمّاراً كان يقول : عثمان كافرٌ . وكان يقول بعد قتله : قتلنا عثمان يوم قتلناه كافراً . وهذا سرفٌ عظيمٌ من خرج إلى ما هو دونه استحقَّ الأدب من الإمام . فلعلَّ عثمان انتهره وأدَّبه لكثرة قوله : قد خلعت عثمان وأنا بريءٌ منه ، فأدّى الأدب إلى فتق أمعائه ، ولو أدّى الأدب إلى تلف النفس لم يكن بذلك مأثوماً ولا مستحقّاً للخلع ، فإمّا أن يكون ضربه باطلاً وإمّا أن يكون صحيحاً فيكون ردعاً وتأديباً ونهياً عن الإغراق والسرف ، وذلك صوابٌ من فعل عثمان وهفوةٌ من عمّار .

قال الأميني : هذه التمحّلات تضادُّ ما صحَّ وثبت عن النبيِّ الأقدس في عمّار ، ونحن لا يسعنا تكذيب النبيِّ الصادق الأمين تحفّظاً على كرامة أيِّ ابن أُنثى فضلاً عن أن يكون من أبناء الشجرة الملعونة في القرآن .

٥ ـ روى أبو مخنف عن موسى بن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال : أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذي قار حتّى نزلنا القادسيَّة فنزل الحسن وعمّار ونزلنا معهما ، فاحتبى عمّار بحمائل سيفه ، ثمَّ جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ، ثمَّ سمعته يقول : ما تركت في نفسي حزَّة أهمّ إليَّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمَّ أحرقناه بالنار .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٢]

---

(١) في هذا الحديث أشياء موضوعة حذف بعضها ابن الأثير في الكامل وزاد فيه أيضاً ، وهو من مكاتبات السري وكلها باطل فيها دجل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ جاء في محاورة وقعت بين عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص فيما أخرجه نصر في كتابه : قال له عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كلّ سوء . قال عمرو : فعليٌّ قتله ، قال عمّار : بل الله ربّ عليّ قتله وعليٌّ معه . قال عمرو : أكنت فيمن قتله ؟ قال : كنت معَ من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم . قال عمرو : فلِمَ قتلتموه ؟ قال عمّار : أراد أن يغيِّر ديننا فقتلناه ! فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل عثمان . قال عمّار : وقد قالها فرعون قبلك لقومه : ألا تسمعون ؟ . الحديث .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٣٨٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٣ :

٧ ـ إنَّ عمّار بن ياسر نادى يوم صفين[1] : أين من يبغي رضوان ربِّه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد ؟ قال : فأتته عصابةٌ من الناس فقال : أيُّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنَّه قُتل مظلوماً ، والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله .

[كتاب صفّين : ص ٣٦٩]

وفي الفتنة الكبرى ص ١٧١ : فقد روي أنَّ عمّار بن ياسر كان يكفِّر عثمان ويستحلُّ دمه ويسمِّيه : «نعثل» .

قال الأميني : هذا الصحابيُّ البطل الذي عرفته في صفحة ٣٨ ـ ٤٦ من هذا الجزء عمّار بن ياسر المعنيّ في عدَّة آيات كريمة من الذكر الحكيم ، ومصبِّ الثناء البالغ المتكرّر المستفيض من صاحب الرسالة ، من ذلك : أنَّه مُلىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، وأنَّه مع الحقِّ والحقُّ معه يدور معه أينما دار ، وأنَّه ما عُرض عليه أمران إلّا أخذ بالأرشد منهما ، وأنَّه من نفر تشتاق إليهم الجنَّة ، وأنَّه جلدة بين عينيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنَّه تقتله الفئة الباغية ، فمعتقد هذا الرجل العظيم وهو متلفِّعٌ بهاتيك الفضائل كلّها في الخليفة ما تراه يكرّره من أنَّه كان ظالماً لنفسه ، حاكماً بغير ما أنزل الله ، مُريداً تغيير دين الله تغييراً أباح لهم قتله ، وأنَّه قتله الصالحون ،

---

(١) في شرح ابن أبي الحديدج ٢ ص ٢٦٩ : ناداه في صفين قبل مقتله بيوم ، أو يومين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنكـرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، إلى ما لهذه من عقائد تركتـه جازمـاً بما نطق به ، مصرّاً على ما ارتكبه ، معترفاً بأنّه كان مع المجهزين عليه ، متأسِّفـاً على ما فاته من نبش قبره وإحراقه بالنار ، فلم يبرح كذلك حتى أخذ يقاتل الطالبين بثاره مع قاتليه وخاذليه ، مذعناً بأنَّ الثائرين لـه مبطلون يجب قتـالهم فلم يفتأ على هـذا المعتقد حتى قتلته الفئة الباغية . أصحاب معاوية ، وقاتله وسالبه وباغضـه في النار نصّاً من النبيِّ المختار صلى الله عليه وآله وسلم .

٩ ـ حديث المقداد بن الأسود الكندي فارس يوم بدر :

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٤٠ في بيعته عثمان واستخلافه : مال قومٌ مع عليٍّ بـن أبي طالب ، وتحـاملوا في القول على عثمـان ، فروى بعضهم قـال : دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف تلهّف من كأنَّ الـدنيا كـانت له فسلبهـا وهو يقـول : واعجبـاً لقـريش ودفعهم هـذا الأمـر على أهـل بيت نبيِّهم ، وفيهم أوَّل المؤمنين ، وابن عمّ رسـول الله ، أعلم النـاس وأفقههم في دين الله ، وأعـظمهم عنـاءً في الإسـلام ، وأبصـرهم بـالـطريق ، وأهـــداهم للصـراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الظاهر النقيّ ، وما أرادوا إصلاحـاً للأُمَّة ، ولا صواباً في المذهب ، ولكنَّهم آثروا الدنيا على الآخـرة ، فبعداً وسحقـاً للقوم الظالمين .

فـدنوت منـه فقلت : مَن أنت يرحمـك الله ومَن هـذا الـرجـل ؟ فقـال : أنـا المقداد بن عمرو وهذا الرجل عليُّ بن أبي طالب ، قال فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر فأُعينـك عليه ؟ فقـال : يابن أخي ! إنَّ هـذا الأمر لا يُجـزي فيه الـرجـل ولا الرجلان ، ثمَّ خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك ، فقال : صدق أخي المقداد ، ثمَّ أتيت عبدالله بن مسعود فذكرت ذلك له ، فقال : لقد أخبرنا فلم نأل .

وذكـر ابن عبد ربِّـه في العقد ج ٢ ص ٢٦٠ في حـديث بيعة عثمـان : فقال عمّار بن ياسر (لعبد الـرَّحمٰن) : إن أردت أن لا يختلف المسلمون ، فبـايع عليّـاً ، فقال المقداد بن الأسـود : صدق عمّـار إن بايعت عليّاً قلنـا : سمعنا وأطعنـا . قال ابن أبي سـرح : إن أردت أن لا تختلف قريش ، فبـايع عثمـان ، إن بايعت عثمـان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سمعنا وأطعنا . فشتم عمّار إبن أبي سرح وقال : متى كنت تنصح المسلمين ؟ فتكلّم بنو هاشم وبنو أميّة فقال عمّار : أيُّها الناس إنَّ الله أكرمنا بنبيِّنا وأعزَّنا بدينه ، فأنَّى تُصرفون هذا الأمر عن بيت نبيِّكم ؟ فقال له رجلٌ من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يابن سميّة ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ؟ فقال سعد بن أبي وقاص : أفزع قبل أن يفتتن الناس ، فلا تجعلنَّ أيُّها الرهط على أنفسكم سبيلاً . ودعا عليّاً فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنَّة نبيِّه وسيرة الخليفتين من بعده ، قال : أعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ثمَّ دعا عثمان فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنَّة نبيِّه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال : نعم . فبايعه فقال عليٌّ حبوته محاباة ليس ذا بأوَّل يوم تظاهرتم فيه علينا ، أما والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك ، والله كلّ يوم هو في شأن . فقال عبدالرَّحمٰن : يا عليّ لا تجعل على نفسك سبيلاً فإنِّي قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحداً ، فخرج عليٌّ وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله ، قال المقداد : أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحقِّ وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد ! والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال : لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . ثمَّ قال المقداد : ما رأيت مثل ما اوتي أهل هذا البيت بعد نبيِّهم ، ولا أقضى منهم بالعدل ، ولا أعرف بالحقِّ ، أما والله لو أجد أعواناً قال له عبدالرَّحمٰن : يا مقداد ! إتَّق الله فإنِّي أخشى عليك الفتنة . وأخرج الطبري نحوه في تاريخه ج ٥ ص ٣٧ ، وذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٦٥ .

وفي لفظ المسعودي في المروج ج ١ ص ٤٤٠ : فقام عمّار في المسجد فقال : يا معشر قريش ! أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيِّكم ههنا مرَّة وههنا مرة فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ، وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما اوذي به أهل هذا البيت بعد نبيِّهم . فقال له عبدالرَّحمٰن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟ فقال : إنِّي والله لأحبّهم بحبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنَّ الحقَّ معهم وفيهم يا عبدالرحمٰن ! أعجب من قريش ـ وأنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت ـ قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم ، أما وأيم الله يا عبدالرَّحمٰن ! لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إيّاهم مع رسول الله ﷺ يوم بدر . وجرى بينهم من الكلام خطبٌ طويل قد أتينا ذكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار .

ومرَّ في هذا الجزء ص ٣٥ : انَّ المقداد أحد الجمع الذين كتبوا كتاباً عدَّدوا فيه أحداث عثمان وخوَّفوه ربَّه وأعلموه أنَّهم مواثبوه إن لم يُقلع . راجع حديث البلاذري المذكور .

قال الأميني : لعلّك تعرف المقداد ومبلغه من العظمة ، ومبوَّأه من الدين ، ومثواه من الفضيلة ، قال أبو عمر : كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار . هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلّها ، أوَّل من حارب فارساً في الإسلام . كان فارساً يوم بدر ، ولم يثبت أنَّه كان فيها على فرس غيره ، وهو عند القوم أحد السبعة الذين أظهروا الإسلام ، وأحد النجباء الأربعة عشر وزراء رسول الله ورفقائه[١] سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوّاباً كما في حديث أخرجه أبو عمر في «الإستيعاب» .

وأنّى يسع للباحث أن يستكنه ما لهذا الصحابيِّ العظيم من الفضائل أو يدرك شأوه وبين يديه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء عليه : إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة ، وأخبرني أنَّه يحبّهم : عليٌّ . والمقداد . وأبو ذر . وسلمان[٢] ؟ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ الجنَّة تشتاق إلى أربعة : عليٌّ . وعمّار . وسلمان . والمقداد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٢ .

فهذا الرجل الدينيُّ الذي يحبّه الله ويأمر نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بحبِّه كان ناقماً على الخليفة واجداً على خلافته من أوَّل يومه ، متلهِّفاً على استخلافه تلهُّف من كأنَّ الدنيا كانت له فسلبها ، وكان يُثبِّط الناس ويُخذِّلهم عنه ، ويرى إمرته إمراً من الأمر

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٨٩ ، أُسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٢٩٠ ، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠ ، وابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٤٥٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإدّا ، يعتقدها ظلماً على أهل بيت العصمة ، ويستنجد أعواناً يقاتل بهم مستخلفيه كقتاله إيّاهم يوم بدر ، هذا رأيه في عثمان من يوم الشورى قبل بوائقه ، فكيف بعدما شاهد منه من هنات وهنات .

١٠ ـ حديث حجر بن عدي الكوفي ، سلام الله عليه ،وعلى أصحابه :

إنَّ معاوية بن أبي سفيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمّا بعد : فإنَّ لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ، وقد قال المتلمس[1] :

لذي الحِلم قبل اليوم ما تُقرع العصا وما عُلّم الإنسان إلاّ ليعلما

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم ،وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ، ويسعد سلطاني ، ويصلح به رعيّتي ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة : لا تتحمَّ عن شتم عليّ وذمِّه ، والترحم على عثمان والإستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الإستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والإستماع منهم . فقال المغيرة : قد جرَّبت وجُرِّبت وعملت قبلك لغيرك فلم يُذمم بي دفعٌ ولا رفعٌ ولا وضعٌ ، فستبلو فتحمد أو تذمّ ثمَّ قال : بل نحمد إن شاء الله .

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً لا يدع ذمّ عليّ والوقوع فيه ، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار له والتذكية لأصحابه ، فكان حُجر بن عدي إذا سمع ذلك قال : بل إيّاكم فذمّم الله ولعن . ثمَّ قام فقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿**كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله**﴾ ، وأنا أشهد أنَّ من تذمّون وتعيرون لأحقُّ بالفضل ، وأنَّ من تزكّون وتُطرون أولى بالذمِّ . فيقول له المغيرة : يا حجر ! لقد رُمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك ،

---

(١) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة ، توجد ترجمته في (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ص ٥٢ ، وفي (المؤتلف والمختلف) ص ٧١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا حجر ! ويحك إتّق السلطان ، إتّق غضبه وسطوته ، فإنّ غضبة السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً ، ثمّ يكفّ عنه ويصفح ، فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول وكانت مقالته : اللهمّ إرحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فإنّه عمل بكتابك واتّبع سنّة نبيّك ﷺ وجمع كلمتنا وحقن دماءَنا وقُتل مظلوماً ، اللهمّ فارحم أنصاره وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه . ويدعو على قتلته فقام حجر بن عدي فنعر نعرةً بالمغيرة سمعها كلّ مَن كان في المسجد وخارجاً منه وقال : إنّك لا تدري بمن تولّع من هرمك أيُّها الإنسان ! مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنّك قد حبستها عنّا وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك ، وقد أصبحت بذمٍّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق والله حجر وبرَّ ، مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنّا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدي علينا شيئاً وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه .

إلى أن هلك المغيرة سنة ٥١ فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثمّ صعد المنبر فخطب ثمّ ذكر عثمان وأصحابه فقرَّظهم وذكر قتلته ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة .

قال محمَّد بن سيرين : خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخَّر الصَّلاة فقال له حجر بن عدي : الصَّلاة . فمضى في خطبته ثمَّ قال : الصّلاة فمضى في خطبته ، فلمّا خشي حجر فوت الصَّلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصا وثار إلى الصَّلاة وثار الناس معه ، فلمّا رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالناس ، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثَّر عليه فكتب إليه معاوية : أن شدَّه في الحديد ثمَّ احمله إليَّ . فلمَّا أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه فقال : لا ، ولكن سمعٌ وطاعةٌ . فشُدَّ في الحديد ثمَّ حُمل إلى معاوية . ساروا به وبأصحابه وهم :

١ ـ الأرقم بن عبدالله الكندي من بني الأرقم .

٢ ـ شريك بن شدّاد الحضرمي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ صيفي بن فسيل الشيباني .

٤ ـ قبيصة بن ضُبيعة بن حرملة العبسي .

٥ ـ كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر ثمَّ من قحافة .

٦ ـ عاصم بن عوف البجلي .

٧ ـ ورقاء بن سميٍّ البجلي .

٨ ـ كدام بن حيّان العنزي .

٩ ـ عبدالرَّحمٰن بن حسَّان العنزي .

١٠ ـ مُحرز بن شهاب التميمي من بني منقر .

١١ ـ عبدالله بن حوية السعدي من بني تميم .

وأتبعهم زياد برجلين وهما : عتبة بن الأخنس السعدي ، وسعيد بن نمران الهمداني ، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء (بينها وبين دمشق إثنا عشر ميلاً) فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإنَّ أمير المؤمنين يزعم أنَّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنّه قد عفى عن ذلك ، فابرأُوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم قالوا : اللّهمَّ إنّا لسنا فاعلي ذلك . فأمر بقبورهم فحفرت وأُدنيت أكفانهم ، وقاموا الليل كلّه يُصَلّون فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ! لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصَّلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أوَّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقِّ . فقال أصحاب معاوية : أمير المؤمنين كان أعلم بكم . ثمَّ قاموا إليهم فقالوا : تبرأُون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولّاه ونتبرَّأ ممَّن تبرَّأ منه . فأخذ كلُّ رجل منهم رجلاً ليقتله وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتّى قتلوا ستَّة وهم .

١ ـ حُجر ٢ ـ شريك ٣ ـ صيفي ٤ ـ قبيصة ٥ ـ محرز ٦ ـ كدام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخذنا من القصّة ما يهمّنا ذكره راجع الأغاني لأبي الفرج ج ١٦ ص ٢ ـ ١١ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٤١ ـ ١٦٠ ، تاريخ إبن عساكر ج ٢ ص ٣٧٠ ـ ٣٨١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٢ ـ ٢١٠ ، تاريخ إبن كثير ج ٨ ص ٤٩ ـ ٥٥ .

قال الأميني : هذه نظريّة الصحابيّ العظيم حجر وأصحابه العظماء الصلحاء الأخيار في عثمان فكانوا يرونه أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ ، وكان حجر يراه من المجرمين فيما جابه به المغيرة بالكوفة ، وقد بلغ هو وزملاؤه الأبرار من ذلك حدّاً إستساغوا القتل دون ما يرونه ، وأبوا أن يتحوّلوا عن عقائدهم ، وبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، فاستمرأوا جُرع الموت في سبيلها زُعافاً مُمقراً .

١١ ـ حديث عبدالرحمٰن بن حسّان العنزي الكوفي :

لمّا قُتل حجر بن عدي سلام الله عليه وخمسة من أصحابه رضوان الله عليهم قال عبدالرَّحمٰن بن حسّان وكريم بن عفيف الخثعمي (وكانا من أصحاب حُجر) : إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه فبعث : إئتوني بهما فالتفتا إلى حجر فقال له العنزي : لا تبعد يا حجر ! ولا يبعد مثواك فنعم أخو الإسلام كنتَ . وقال الخثعمي نحو ذلك . ثمَّ مضى بهما فالتفت العنزي فقال متمثّلاً :

كفى بشفاة القبر بُعداً لهالك وبالموت قطّاعاً لحبل القرائن

فلمّا دخل عليه الخثعمي قال له : الله الله يا معاوية ! إنّك منقولٌ من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤولٌ عمَّ أردت بقتلنا وفيم سفكت دماءنا ، فقال : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، أتتبرّأ من دين عليّ الذي كان يدين الله به ؟ وقام شمر بن عبدالله الخثعمي فاستوهبه ، فقال : هو لك غير أنّي حابسه شهراً فحبسه ثمَّ أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان ، فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبدالرَّحمٰن بن حسّان فقال له : يا أخا ربيعة ! ما تقول في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليّ ؟ قال : أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحقّ قال : قتلت نفسك . قال : بل إيّاك قتلت لا ربيعة بالوادي (يعني أنّه ليس ثمّ أحدٌ من قومه فيتكلّم فيه) فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه : إنّ هذا شرُّ مَن بعثت به ، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها ، واقتله شرّ قتلة . فلمّا قدم به على زياد بعث به إلى قيس الناطف فدفنه حيّاً .

الأغاني لأبي الفرج ج ١٦ ص ١٠ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٧٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٩ .

قال الأميني : أُنظر إلى تصلُّب الرجل الدينيِّ في معتقده في حقِّ الرجلين : عليّ أمير المؤمنين ، وعثمان ، وكيف بلغ من ذلك حدّاً استباح فيه أن يُراق دمه دون أن يعدل عمّا عقد عليه ضميره ، وأخبتت إليه نفسه ، وكان يرى من واجبه الإشادة بما ذكر وإن أُريق عليه دمه الطاهر ، وأُسبلت نفسه الزكيّة .

١٢ ـ حديث هاشم المرقال :

خرج يوم صفّين (من عسكر معاوية) فتىً شابّ وهو يقول :

أنا ابن أرباب الملوك غسّانْ والدائن اليوم بدين عثمانْ
أنبأنا أقوامنا بما كانْ إنَّ علياً قَتَل ابن عفان

ثمّ شدَّ فلا ينثني يضرب بسيفه ، ثمّ جعل يلعن عليّاً ويشتمه ويُسهب في ذمِّه ، فقال له هاشم بن عتبة : إنَّ هذا الكلام بعده الخصام ، وإنَّ هذا القتال بعده الحساب فاتّق الله فإنَّك راجعٌ إلى ربِّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به ، قال : فإنّي أُقاتلكم لأنَّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي ، وأنّكم لا تُصلّون ،وأُقاتلكم لأنَّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ؟ إنّما قتله أصحاب محمَّد وقرّاء الناس حين أحدثَ أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمَّد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين ، وما أظنُّ أنَّ أمر هذه الامَّة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قطُّ . قال الفتى : أجل أجل والله لا أكذب فإنَّ الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين ولا يزين . فقال له هاشم : إنَّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم

بـه . قال : أظنّـك والله قد نصحتني . وقـال له هـاشم : وأمّا قـولـك : إنَّ صـاحبنـا لا يصلّي . فهـو أوّل مَن صلّى مع رسـول الله ، وأفقهه في دين الله ، وأولاه بـرسـول الله ، وأمّا من ترى معه فكلّهم قارىء الكتاب ، لا ينامون الليل تهجّداً ، فلا يغـرركَ عن دينك الأشقياء المغرورون. قال الفتى : يا عبدالله ! إنّي لأظنّك امرأً صالحاً ، وأظنّني مخطئـاً آثماً ، أخبرني هـل تجد لي من تـوبة ؟ قـال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك فـإنّه يقبـل التوبة عن عباده ويعفو عن السيِّئات ويحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهِّرين . الحديث[1] .

قال الأميني : هذا هاشم المرقال الصحابيُّ المقدَّس ، وبطل الدين العظيم ، وهذا رأيه في عثمان وهو يبوح به في مـوقف قتال حصـل من جرّاء قتله ، مبـرِّراً فيه عمـل المجهزين عليـه ، ويرى أنَّـه خالف حكم الكتـاب وأحـدث أحـداثـاً أبـاحت لأصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم قتله وأنَّ مَن قتله هم أهل الدين والقرآن .

١٣ ـ حـديث جهجـاه بن سعيـد الغفـاري ممَّن بـايـع تـحت الشجرة[2] :

ورد من طـريق أبي حبيبة أنَّـه قال : خـطب عثمان النـاس فقام إليـه جهجـاه الغفاري ، فصاح : يا عثمان ! ألا إنَّ هذه شارفٌ قد جئنا بهـا عليها عبـاءة وجامعـة فانزل فلندرِّعك العباءة ولنطرحك في الجامعـة ولنحملك على الشارف ثمَّ نـطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبَّحك الله وقبَّح ما جئت به . قال أبو حبيبة : ولـم يكن ذلك منه إلّا عن ملأ من الناس ، وقـام إلى عثمان خيـرته وشيعتـه من بني أُميَّة فحملوه فأدخلوه الدار .

وجاء من طريق عبدالرَّحمٰن بن حاطب قال : أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم التي كان عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال لـه جهجاه : قم يا نعثل ! فانزل عن هذا المنبر . وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت شظية منها فيها فبقي الجرح حتى أصابته الأُكلة فرأيتهـا تدود ، فنـزل عثمان وحملوه

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصـر ص ٤٠٢ ، تاريخ الطبـري ج ٦ ص ٢٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) الإستيعاب . أسد الغابة . الإصابة .

وأمر بالعصا فشدّوها فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلاّ خرجةً أو خرجتين حتّى حُصر فقتل .

وفي لفظ البلاذري : خطب عثمان في بعض أيّامه فقال له جهجاه بن سعيد الغفاري : يا عثمان! إنزل ندرِّعك عباءةً ونحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان كما سيَّرت خيار الناس ، فقال له عثمان : قبَّحك الله وقبَّح ما جئت به . وكان جهجاه متغيِّظاً على عثمان ، فلمَّا كان يوم الدار دخل عليه ومعه عصاً كان النبيُّ ﷺ يتخصَّر بها فكسرها على ركبته فوقعت فيها الأُكلة .

راجع الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٤٧ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٤ ، الإستيعاب في ترجمة جهجاه ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٥ ، الإصابة ج ١ ص ٢٥٣ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ .

قال الأميني : الجهجاه من أهل بيعة الشجرة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصِّ الذكر الحكيم وهو يستبيح خلع عثمان ونفيه وتشهيره ملفوفاً بعباءة مكبّلاً بالحديد إلى جبل الدخان ، ولا يتحرَّج من هتكه وكسر مخصرته ، وإنَّما قال ما قاله وفعل ما فعل بمحضر من المهاجرين والأنصار ، فلم يؤاخذه على ذلك أحدٌ منهم ولا ردَّ عليه رادٌّ ، فكأنَّه كان يُخبر عن صميم أفئدتهم ، وأظهر ما أضمروه ، وجاء بما أحبّوه حتّى قضى ما كان مقتضياً .

إنَّ حدوث الجرح في ركبة جهجاه لولوج شيء من كسرات العصا فيها المتحوّل أُكلة إن صحَّ فمن ولائد الإتفاق وليس بكرامة للقتيل ، كما أنّ وقوع عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي والي عثمان على اليمن من مركبه وموته وقد جاء لنصرة عثمان لم يكن نقمةً ولا نكبةً له . قال أبو عمر وغيره : جاء عبدالله المخزومي لينصره لَمّا حُصر فسقط عن راحلته بقرب مكّة فمات[1] .

وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ص٨٧ :أقبل عبدالله المخزومي وكان عامله

---

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٥١ ، أُسد الغابة ج ٣ ص ١٥٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على مخاليف الجند لينصره فلمّا انتهى إلى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله .

١٤ ـ حديث سهل بن حنيف :

أبو ثابت الأنصاري (بدريٌّ) .

١٥ ـ رفاعة بن رافع بن مالك :

أبو معاذ الأنصاري (بدريٌّ) .

١٦ ـ الحجاج بن غزية الأنصاري :

قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٨ : قال أبو مخنف في روايته : إنَّ زيد بن ثابت الأنصاري قال : يا معشر الأنصار ! إنَّكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته . فأجابه قومٌ منهم فقال سهل بن حنيف : يا زيد ! أشبعك عثمان من عضدان المدينة ـ والعضيدة نخلة قصيرة يُنال حملها ـ فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودعوه حتّى يموت فما أقرب أجله . فقال الحجّاج بن غزيَّة الأنصاري أحد بني النجّار : والله لو لم يبق من عمره إلّا بين الظهر والعصر لتقرَّبنا إلى الله بدمه .

وجاء رفاعة بن مالك الأنصاري ثمَّ الزرقي بنار في حطب فأشعلها في أحد البابين فاحترق وسقط ، وفتح النّاس الباب الآخر واقتحموا الدار .

وفي لفظ للبلاذري ص ٩٠ : قال زيد للأنصار : إنَّكم نصرتم رسول الله ﷺ فكنتم أنصار الله فانصروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرَّتين . فقال الحجّاج بن غزيّة : والله إن تدري هذه البقرة الصيحاء ما تقول ، والله لو لم يبق من أجله إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقرَّبنا إلى الله بدمه .

وقال ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣١٣ :روى الحجّاج بن غزيَّة عن أصحاب السنن حديثاً صرَّح بسماعه فيه من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في الحجِّ قال ابن المديني : هو الذي ضرب مروان يوم الدار حتّى سقط[1] .

---

(١) سيوافيك حديث ضربه مروان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الأميني : نظريَّة هؤلاء الثلاثة ليست بأقلّ صراحة من نظريّات إخوانهم المهاجرين والأنصار في استباحة دم الخليفة وإزالته عن منصَّة ملك الإسلام الديني .

١٧ ـ حديث أبي أيوب الأنصاري من السابقين من جلّة الصحابة البدريِّين :

قال في خطبة له : إنَّ أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ قد استمع من كانت له أُذنٌ واعية وقلبٌ حفيظ ، إنَّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقَّ قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابن عمِّ رسول الله ﷺ ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيِّدهم بعده ، يفقّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلّين ، فوالله لكأنّكم صمٌّ لا تسمعون ، وقلوبكم غلفٌ مطبوعٌ عليها فلا تستجيبون ، عباد الله ! أليس إنَّما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ وقد شمل العباد ، وشاع في الإسلام ، فذو حقّ محرومٌ مشتومٌ عرضه ، ومضروبٌ ظهره ، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلقىً بالعراء ، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحقِّ ، ونشر العدل ، وعمل بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولّوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا وهم لا يسمعون ، إشحذوا السيوف وجدّدوا آلة الحرب ، واستعدّوا للجهاد ، فإذا دُعيتم فأجيبوا، وإذا أُمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصّادقين .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٢ في طبع وفي آخر ص ١٢٨ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٣٦ .

قال الأميني : هذا أبو أيّوب الأنصاري عظيم الصحابة الذي اختار الله داره منزلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنصار ، وحسبه ذلك شرفاً ، وهو من البدريِّين وشهد المغازي كلّها ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أخذ شيئاً من كريمته الشريفة بقوله : لا يصيبك السوء يا أبا أيّوب ! وهذا يعمُّ الأسواء الظاهرة من قتل بهوان وأسر وسجن في مذلّة وأمراض مخزية من جذام وبرص وغيرهما واختلال في العقل ، والأسواء المعنويَّة من تزحزح عن الإيمان وتضعضع في العقيدة ، وانحياز عن الدين ، فهو رضوان الله عليه مكلوءٌ عن هذه كلّها بتلك الدعوة المجابة ، وهو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع فضله هذا يعدُّ عهد عثمان عهد جور وعدوان ، ويعدّد ما حدث هنالك من البوائق النازلة على صلحاء الامَّة كأبي ذر وعمّار وابن مسعود وغيرهم ممَّا مرَّ تفصيله ، ولو لم يكن إلاّ شهادة أبي أيّوب لكفت حجَّة في كلِّ مهمَّة ، فكيف وقد صافقه على ما يقول سروات المهاجرين والأنصار ؟ .

١٨ ـ حديث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، سيِّد الخزرج «بدريٌّ» :

١ ـ من خطبة له خطبها بمصرفي أخذ البيعة لأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه قال : الحمدلله الذي جاء بالحقِّ وأمات الباطل ، وكبت الظالمين ، أيُّها النّاس إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمَّد نبيِّنا ﷺ فقوموا أيُّها النّاس فبايعوا على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ .

٢ ـ من كتاب لمعاوية إلى قيس بن سعد قبل وقعة صفِّين : أمّا بعد : فإنَّكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفّان رضي الله عنه في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها ، أو شتيمة رجل ، أو في تسييره آخر ، أو في استعماله الفُتي ، فإنَّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنَّ دمه لم يكن يحلّ لكم ، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً ، فتب إلى الله عزَّ وجلَّ يا قيس بن سعد ! فإنَّك كنت في المجلبين على عثمان بن عفّان رضي الله عنه إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً .

فأمّا صاحبك : فإنّا استيقنّا أنَّه الذي أغرى به النّاس وحملهم على قتله حتّى قتلوه وإنَّه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممَّن يطلب بدم عثمان فافعل ، تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرتُ ما بقيتُ ، ولمن أحببت مِن أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلني غير هذا ممّا تحبّ فإنَّك لا تسألني شيئاً إلاّ أُوتيته ، واكتب إليَّ برأيك فيما كتبت به إليك . والسَّلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكتب إليه قيس :

أمّا بعد : فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضي الله عنه وذلك أمرٌ لم أُقارفه ولم أطف به . وذكرت صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ودسَّهم إليه حتّى قتلوه ، وهذا لم أطَّلع عليه ، وذكرت عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأوَّل النّاس كان فيه قياماً عشيرتي . الخ .

وفي لفظ : فلعمري إنَّ أولى الناس في أمره عشيرتي . فلعمري إنَّ أوَّل النّاس كان فيه قياماً عشيرتي ولهم أسوة .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٩ ، جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٢٤ .

٣ ـ تحاور قيس بن سعد والنعمان بن بشير بين الصفَّين بصفِّين فقال النعمان : يا قيس بن سعد ! أما أنصفكم مَن دعاكم إلى ما رضي لنفسه ؟ إنَّكم يا معشر الأنصار أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقتلكم أنصاره يوم الجمل ، وإقحامكم على أهل الشام بصفّين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً ، كان هذا بهذا ، ولكنّكم خذلتم حقّاً ، ونصرتم باطلاً ، ثمَّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس ، شعلتم الحرب ، ودعوتم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم غير أنكاس عن حربكم . الكلام .

فضحك قيس وقال : والله ما كنت أراك يا نعمان تجترىء على هذا المقام ، أمّا المنصف المُحقّ فلا ينصح أخاه مَن غشَّ نفسه ، وأنت والله الغاشُّ لنفسه ، المبطل فيما نصح غيره .

أمّا ذكر عثمان فإن كان الايجاز يكفيك ، فخذه . قتل عثمان مَن لستَ خيراً منه ، وخذله من هو خيرٌ منك ، وأمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأمّا معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار . وأمّا قولك : إنّا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله ، نلقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا ، حتّى جاء الحقُّ وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن أُنظر يا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نعمان ! هل ترى مع معاوية إلاّ طليقاً أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجاً ؟ وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟ ثمّ انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك[١] ؟ ولستما والله بدريّين ولا عقبيّين[٢] ولا لكما سابقةٌ في الإسلام ولا آية في القرآن .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٥١١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٤ ، وفي ط ٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٨ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٩٠ .

٤ ـ قدم المدينة قيس بن سعد فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به وكان حسان عثمانيّاً فقال له : نزعك عليٌّ بن أبي طالب وقد قتلت عثمان ، فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر . فقال له قيس : يا أعمى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ، أُخرج عنّي . تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : إنَّ فتى الأنصار وأمير الخزرج وابن أميرها قيس بن سعد الذي تقدَّمت فضائله وفواضله في الجزء الثاني ص ٦٩ ـ ١١٠/ط ٢ تراه يتبجَّح في كتابه إلى معاوية بأنَّ عشيرته الأنصار كانوا أوَّل الناس قياماً في دم عثمان ، وفي خطبته يرى أنَّ الحقَّ المحيى مع مولانا أمير المؤمنين ، وانَّ الباطل الذي أُميت كان في العهد البائد بقتل عثمان ، وأنَّ المقتولين في واقعة الدار هم الظالمون ، واعطف على هذه كلّها محاورته مع النعمان بن بشير بصفّين ، فالكلُّ لهجةٌ واحدةٌ من رئيٍّ في الدين والدنيا واحد .

١٩ ـ حديث فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري (بدريٌّ) :

أخرج مالك في الموطأ حديثه في باب (العمل في القراءة) وسكت عن إسمه ولم يسمِّه ، بل ذكره بلقبه «البياضي» وقال ابن وضاح[٣] وابن مزين[٤] : إنَّما

---

(١) يعني به عمرو بن العاص .

(٢) يعني ممن بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة .

(٣) أبو عبد الله محمّد بن الحسين بن علي بن الوضاح الأنباري المتوفى ٣٤٥ .

(٤) كذا في الإستيعاب، وأسد الغابة، وشرح الموطأ للزرقاني، وفي الإصابة: ابن سيرين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكت مالك عن إسمه ، لأنّه كان ممَّن أعان على قتل عثمان .

وعقَّبه أبو عمر في «الإستيعاب» فقال : هذا لا يُعرف ولا وجه لما قالاه في ذلك ولم يكن لقائل هذا علمٌ بما كان من الأنصار يوم الدار .

الإستيعاب ترجمة فروة ، أُسد الغابة ج ٤ ص ١٧٩ ، الإصابة ج ٣ ص ٢٠٤ ، شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٥٢ .

قال الأميني : الذي يشهد ببطلان ما قالاه أنَّ ما حسبوه جريمة من فروة إن كان مسقطاً لعدالته ، فالإخراج عنه باطلٌ سمّاه أو لم يسمِّه ، وإن كان غير مسقط لها ، فهو مشمولٌ لما عمَّ الصحابة عند القوم من الفضل والعدالة ، وإنَّ روايته حجَّة يُؤخذ بها ولا يضرُّه إذن إلغاء الإسم ، ثمَّ إن كانت هذه الجريمة ممّا يُؤاخذ به صاحبه ، فهي عامَّة للأنصار كلّهم كما أوعز إليه أبو عمر بقوله : لم يكن لقائل هذا علمٌ بما كان من الأنصار يوم الدار . فيجب إسقاط رواياتهم أو السكوت عن أسمائهم جمعاء . وبالجملة : إنَّ هذا الأنصاريَّ البدريَّ عُدَّ ممَّن أعان على قتل عثمان ، ولم يشذَّ في رأيه عن الأنصار أو عن بقيَّة الصحابة أجمع .

٢٠ ـ حديث محمد بن عمرو بن حزم أبي سليمان الأنصاري :

أحد المحامدة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمَّداً . قال أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمته : يقال : إنَّه كان أشدَّ الناس على عثمان المحمَّدون : محمَّد بن أبي بكر . محمَّد بن أبي حذيفة . محمَّد بن عمرو بن حزم .

٢١ ـ حديث جابر بن عبدالله أبي عبدالله الأنصاريّ الصحابيّ العظيم وقوم آخرين من الصحابة :

لَمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وأتته ولاية مكّة والمدينة ، وكان عبدالملك حين بعثه لقتال عبدالله بن الزبير عقد له على مكّة ولكنَّه أحبَّ تجديد ولايته إيّاها ، فشخص الحجّاج إلى المدينة ، واستخلف على مكّة عبد الرحمٰن بن نافع بن عبدالحارث الخزاعي ، فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفَّ بهم وقال : إنَّهم قتلة

أمير المؤمنين عثمان ، وختم يد جابر بن عبدالله برصاص وأيدي قوم آخرين كما يُفعل بالذمَّة ، منهم : أنس بن مالك ختم عنقه ، وأرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت . قال : كذبت . ثمَّ أمر به فختم في عنقه برصاص .

أنساب البلاذري ج ٥ ص ٣٧٣ ، تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٩ .

قال الأميني : تُعطي هذه الرِّواية أنَّ مؤاخذة الحجّاج لبقيَّة الصحابة وفيهم جابر ـ صاحب الحلقة في مسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يُؤخذ منه العلم كما في الإصابة ج ١ ص ٢١٣ ـ كانت لتدخُّلهم في واقعة عثمان بمباشرة أو تخذيل عنه أو بتقاعد عن نصرته ، نحن لا نقول بوثاقة الرجل فيما يرويه كما لا نقول بسداده فيما يرتئيه ، غير أنَّ الحالة تشهد أنَّ تلكم النسبة كانت مشهورةً بين الملأ فاحتجَّ بها الحجّاج على ما ارتكبه من إهانتهم ولم يظهر من القوم أيُّ إنكار لما رُموا به درءاً لعادية الطاغية ، لكنَّهم صبروا على البلاء وشدَّة النازلة ثباتاً منهم على ما ارتكبوه في واقعة الدار .

٢٢ ـ حديث جبلة بن عمرو[1] بن ساعدة الساعدي الأنصاري (بدريٌّ) :

أخرج الطبري من طريق عثمان بن الشريد قال : مرَّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعةٌ فقال : يا نعثل ؟ والله لأقتلنَّك ولأحملنَّك على قلوص جرباء ولأُخرجنَّك إلى حرَّة النار ، ثمَّ جاءه مرَّة أُخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه .

وأخرج من طريق عامر بن سعد قال : كان أوَّل من أجرأ على عثمان بالمنطق السيِّء جبلة بن عمرو الساعدي ، مرَّ به عثمان وهو جالسٌ في نديِّ قومه وفي يد جبلة بن عمرو جامعةٌ ، فلمّا مرَّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة : لِمَ تردُّون على رجل فعل كذا وكذا ؟ قال : ثمَّ أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحنَّ هذه الجامعة

(١) قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٧ : قال الكلبي : هو رخيلة بن ثعلبة البياضي ، بدري .

في عنقك أو لتتركنَّ بطانتك هذه . قال عثمان : أيّ بطانة ؟ فوالله إنّي لا أتخيَّر الناس . فقال : مروان تخيَّرته ، ومعاوية تخيَّرته ، وعبدالله بن عامر بن كريز تخيَّرته ، وعبدالله بن سعد تخيَّرته ، منهم من نزل القرآن بذمِّه وأباح رسول الله دمه[١] قال : فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ١٧٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

وأخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٧ الحديث الأوّل باللفظ المذكور فقال : ثمَّ أتاه وهو على المنبر فأنزله ، وكان أوّل من اجترأ على عثمان وتجهَّمه بالمنطق الغليظ وأتاه يوماً بجامعة فقال : والله لأطرحنّها في عنقك ، أو لتتركنَّ بطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلتَ ، وفعلْتَ ، وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجَلَب بحكمه ويبيعه بسومه ، ويجبي مقاعد المتسوِّقين ، ويصنع صنيعاً منكراً ، فكلّم في إخراج السوق من يده فلم يفعل ، وقيل لجبلة في أمر عثمان وسُئل الكفّ عنه فقال : والله لا ألقى الله غداً فأقول : إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل .

وأخرج ابن شبه في أخبار المدينة من طريق عبدالرَّحمٰن بن الأزهر : إنَّهم لَمّا أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو فانطلقوا إلى حشٍّ كوكب فدفنوه فيه[٢] .

قال الأميني : إنّك جِدُّ عليم بما في هذا الرجل المبجَّل ـ البدريّ الذي أثنى عليه أبو عمر في «الإستيعاب» بقوله : كان فاضلاً من فقهاء الصحابة . وهو أحد الصحابة العدول الذين يُحتجُّ بما رووه أو رأوه ـ من شدَّة على عثمان وثبات عليها ، حتّى انَّه يعدّ المحايدة يومئذٍ من الضلال الذي يأمر به السّادة والكبراء الضّالون ، ويهدّد عثمان ويرعد ويبرق وينهى عن ردّ السّلام عليه الذي هو تحيَّة المسلمين ، ومن الواجب شرعاً ردُّها ، وينزِّله عن منبر الخطابة إنزالاً عنيفاً بين الملأ ، ثمَّ لم

---

(١) هو عبد الله بن سعد راجع ما أسلفناه في ج ٨ ص ٣٢٤

(٢) الإصابة ج ١ ص ٢٢٣ .

يزل يستخفُّ به ويهينه ولا تأخذه فيه هوادة حتّى منعه عن الدفن في البقيع ، فدفن في حشٍّ كوكب مقابر اليهود وكلُّ هذه لا تلتئم مع حسن ظنّه به فضلاً عن حسن عقيدته .

نعم : إنَّ جبلة فعل هذه الأفاعيل بين ظهراني الملأ الديني الصحابة العدول وهم بين مُتجمهرٍ معه ، ومُخذِّلٍ عن الخليفة المقتول ، ومتثبِّطٍ عنه ، وراضٍ بما دارت على الخليفة من دائرة سوء ، ما خلا شذّاذ من الأمويين الذين وصفهم جبلة في بيانه ، وقدَّمنا نحن تفصيل ما نزل من القرآن فيهم في الجزء الثامن[1] ولم تقم الجامعة الدينيَّة لهم ولآرائهم وزناً .

٢٣ ـ حديث محمد بن مسلمة أبي عبدالرحمٰن الأنصاري (بدريٌّ) :

أخرج الطبري من طريق محمّد بن مسلمة قال : خرجت في نفر من قومي إلى المصريِّين وكان رؤساءهم أربعة : عبد الرَّحمٰن بن عديس البلوي ، وسودان بن حمران المرادي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وابن النباع[2] قال : فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم ورأيت الناس لهم تبعاً ، قال : فعظَّمتُ حقّ عثمان ، وما في رقابهم من البيعة ، وخوّفتهم بالفتنة ، وأعلمتهم أنَّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً ، فلا تكونوا أوَّل من فتحه وأنَّه ينزع عن هذه الخصال التي نقمتم منها عليه وأنا ضامنٌ لذلك . قال القوم : فإن لم ينزع قال : قلت فأمركم إليكم . قال : فانصرف القوم وهم راضون فرجعت إلى عثمان فقلت : أخلني . فأخلاني فقلت : الله الله يا عثمان ! في نفسك ، إنَّ هؤلاء القوم إنّما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك ، لا ، بل هم يقوّون عدوّك عليك ؛ قال : فأعطاني الرضا وجزّاني خيراً قال : ثمَّ خرجت من عنده فأقمت ما شاء الله أن أُقيم ، قال : وقد تكلّم عثمان برجوع المصريِّين وذكر أنَّهم جاؤوا لأمر فبلغهم غيره فانصرفوا . فأردت أن آتيه فأُعنّفه ثمَّ سكتُّ فإذا قائلٌ يقول : قد قدم المصريّون وهم بالسويداء[3]

(١) راجع صفحة ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، ٢٦١

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفيما حكى عنه والصحيح : ابن البياع وهو عروة بن شييم الليثي .

(٣) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

قال : قلت : أحقٌّ ما تقول ؟ قال : نعم . قال : فأرسل إليَّ عثمان ، قال : وإذا الخبر قد جاءه وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب[1] فقال : يا أبا عبدالرَّحمٰن ! هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأي فيهم ؟ قال قلت : والله ما أدري إلّا إنِّي أظنّ أنَّهم لم يرجعوا لخير قال : فارجع إليهم فارددهم قال : قلت : لا والله ما أنا بفاعل ، قال : ولِمَ قال : لأنِّي ضمنت لهم اموراً تنزع عنها ، فلم تنزع عن حرف منها قال : فقال : الله المستعان قال : وخرجت وقدم القوم وحلّوا بالأسواف وحصروا عثمان وجاءني عبد الرَّحمٰن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه فقالوا : يا أبا عبدالرَّحمٰن ! ألم تعلم أنَّك كلّمتنا ورددتنا وزعمتَ أنَّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره ؟ فقلت : بلى ، فإذا هم يُخرجون إليَّ صحيفة صغيرة وإذا قصبة من رصاص فإذا هم يقولون : وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان فأخذنا متاعه ففتَّشناه فوجدنا فيه هذا الكتاب . الحديث يأتي بتمامه .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ .

قال الأميني : إنّك تجد محمّد بن مسلمة ها هنا لا يشك في أنَّ ما نقمه القوم على الخليفة موبقات يستحلُّ بها هتك الحرمات ممّن ارتكبها ، لكنّه كره المناجزة وحاول الإصلاح حِذار الفتنة المستتبعة لطامات وهنابث ، وسعى سعيه في ردِّ القوم بضمانه عسى أن ينزع الخليفة عمّا فرَّط في جنب الله ، وأن يكون ذلك توبة نصوحاً ، فلعلَّ الفورة تهدأ ، ولهيب الثورة يخبأ ، لكنّه لمّا شاهد الفشل في مسعاه ، وأخفق ظنّه بعثمان ، ورأى منه حنث الإلِّ ، وعدم النزوع عن أحداثه ، تركه والقوم ، فارتكبوا منه ما ارتكبوا ولم يجبه حينما استنصره ، ولم يُقم لطلبته وزناً ، ولم يرَ له حرمة يدافع بها عنه ، ولذلك خاشنه في القول ، فكان ما كان مقضيّاً .

٢٤ ـ حديث ابن عبّاس حبر الأُمَّة ابن عمِّ النبيِّ الأعظم (ص) :

١ ـ أخرج أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليّ

---

(١) واد على مسيرة ليلة من المدينة .

صلوات الله عليه من طريق طارق قال : جاء ناسٌ إلى ابن عبّاس فقالوا : جئناك نسألك فقال : سلوا عمّا شئتم فقالوا : أيّ رجل كان أبو بكر ؟ فقال : كان خيراً كلّه . أو قال : كالخير كلّه على حِدَّة كانت فيه . قالوا : فأيّ رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطائر الحذر الذي يظنُّ أنَّ له في كلِّ طريق شركاً . قالوا : فأيّ رجل كان عثمان ؟ قال : رجل ألهته نومته عن يقظته . قال : فأيّ رجل كان عليّ ؟ قال : كان قد مُلىء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدةً مع قرابته من رسول الله ﷺ وكان يظنّ أن لا يمدَّ يده إلى شيء إلاّ ناله ، فما مدَّ يده إلى شيء فناله .

٢ ـ من كتاب لمعاوية إلى ابن عبّاس : لعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ، وأن يكون رأياً صواباً ، فإنَّك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلحٌ فيمنعك منّي ولا بيدك أمان[1] .

فكتب إليه إبن عبّاس جواباً طويلاً يقول فيه : وأمّا قولك «إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له ، والسافكين له ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي» فأُقسم بالله لأنت المتربِّص بقتله ، والمحبُّ لهلاكه ، والحابس الناس قِبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتّى بعثت إليه معذراً بإجرة أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتّى يُقتل ، فقتل كما كنت أردت ثمَّ علمت عند ذلك أن النّاس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول قُتل مظلوماً ، فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثمَّ لم تزل مصوِّباً ومصعّداً وجاثماً ورابضاً تستغوي الجهّال وتنازعنا حقّنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت وإن أدري لعلّه فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين .

قال الأميني : إنَّ حبر الأُمَّة وإن لم يكن له أيّ تدخّل في واقعة الدار ، وكان أمير الحاجِّ في سنته تلك ، لكنّك تراه لا يشذّ عن الصحابة في الرأي حول الخليفة ، ولا يقيم له وزناً ، ولا يرى له مكانة ، ومن أجل ذلك أعطى المقام حقَّه في جواب السائل عن الخلفاء ، غير أنّه لم يصف عثمان إلاّ بما يُنبىء عن عدم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٤ ص ٥٨ . قال : كتبه اليه عند صلح الحسن، عليه السّلام، يدعوه إلى بيعته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كفاءَته برقدته الطويلة الغاشية على يقظته ، وسُباته العميق الساتر لانتباهته ، ومن جرَّاء ذلك الإعتقاد تجده لم يهتم بشيء من أمره لمّا جاءه نافع بن طريف بكتاب[١] من الخليفة يستنجد الحجيج ويستغيث بهم ، على حين أنَّه محصورٌ ، فقرأه نافع على الناس بينما كان ابن عبّاس يخطب فلمّا نجزت قراءته أتمَّ خطبته من حيث أفضت إليه ، ولم يلو إلى أمر عثمان وحصاره ، ولم ينبس في أمره ببنت شفة ، وكان في وسعه أن يستشيرهم لنصرته ، وهل ذلك كلّه لسوء رأي منه في الخليفة ؟ أو لعدم الإهتمام في أمره ؟ أو لحسن ظنّه بالثائرين عليه؟ إختر ما شئت، ولعلّك تختار تحقّق الجميع لدى ابن عبّاس ، وكأنَّ عائشة شعرت منه ذلك فقالت يوم مرَّ بها إبن عبّاس في منزل من منازل الحجِّ : يابن عبّاس ! إنَّ الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية[٢] .

ومن جرّاء رأيه الذائع الشائع كان يحذر معاوية ويخاف بطشه ، ولمّا قال له أمير المؤمنين عليه السلام : إذهب أنت إلى الشام فقد ولّيتكها . قال : إنِّي أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمنّه وعده الحديث[٣] .

وفي أثر ذلك الرأي كان يسكت عن لعن قتلة عثمان ولَمّا كتب إليه معاوية : أن اخرج إلى السمجد والعن قتلة عثمان . أجاب بقوله : لعثمان ولدٌ وخاصَّة وقرابة هم أحقّ بلعنهم منِّي ، فإن شاؤوا أن يلعنوا ، وإن شاؤوا أن يمسكوا فليمسكوا[٤] .

٢٥ ـ حديث عمرو بن العاصي الذي عرَّفناكه في ج ٢ ص ١٤٢ ـ ٢٠٧ :

أخرج الطبري من طريق أبي عون مولى المسور قال : كان عمرو بن العاصي على مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصَّلاة ، واستعمل

---

(١) يأتي تفصيله في هذا الجزء عند ذكر كتب عثمان إن شاء الله .
(٢) راجع ما مر في هذا الجزء من حديث عائشة .
(٣) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٣ .
(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٨ .

عبدالله بن سعد على الخراج ، ثمَّ جمعهما لعبدالله بن سعد ، فلمّا قدم عمرو بن العاصي المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال : يابن النابغة ما أسرع ما قمل به جربّان جبّتك ! إنّما عهدك بالعمل عاماً أوّل ، أتطعن عليَّ ، وتأتيني بوجه ، وتذهب عنّي بآخر ؟ والله لولا أُكلة ما فعلت ذلك . فقال عمرو : إنَّ كثيراً ممّا يقول الناس وينقلون إلى ولا تهم باطلٌ ، فاتّق الله يا أمير المؤمنين في رعيَّتك ! فقال عثمان : والله لو استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك ، فقال عمرو : قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عنّي راضٍ فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكنّي لنتُ عليك فاجترأت عليَّ ، أمّا والله لأنا أعزُّ منك نفراً في الجاهليَّة وقبل أن ألي هذا السلطان ، فقال عمرو : دع عنك هذا فالحمدلله الذي أكرمنا بمحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وهدانا به ، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان فوالله للعاصي كان أشرف من أبيك[1] فانكسر عثمان وقال : ما لنا ولذكر الجاهليَّة ، وخرج عمرو ودخل مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاصي أباك ، فقال عثمان : دع هذا عنك ، مَن ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقدٌ عليه يأتي عليّاً مرَّة فيؤلّبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرَّة فيؤلّبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرَّة فيؤلّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها : السبع ، فنزل في قصر له يقال له : العجلان وهو يقول : العجب ما يأتينا عن إبن عفان قال : فبينا هو جالسٌ في قصره ذلك ومعه إبناه محمَّد ، وعبدالله ، وسلامة بن رَوح الجذامي إذ مرَّ بهم راكبٌ فناداه عمرو : من أين قدم الرجل ؟ فقال : من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان . قال : تركته محصوراً شديد الحصار قال عمرو : أنا أبو عبدالله قد يضرط العير والمِكواة في النّار فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرَّ به راكبٌ آخر فناداه عمرو : ما فعل الرَّجل ؟ يعني عثمان . قال : قُتل . قال : أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة

---

(١) ليت شعري ما مكانة عفان من الشرف إن كان يفضل عليه العاصي الساقط المشرف بقوله تعالىٰ : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ كما مرّ تفصيله في الجزء الثاني ص ١٢٠/ط ٢ .

نكأتها ، إن كنت لأُحرِّض عليه حتّى إنّي لأُحرِّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح : يا معشر قريش ! إنّه كان بينكم وبين العرب بابٌ وثيقٌ فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نخرج الحقَّ من حافرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحقِّ شرعاً سواء ، وكانت عند عمرو أُخت عثمان لأُمِّه أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها حين عزله [١] .

٢ ـ لمّا ركب علي وركب معه ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى أهل مصر في أوّل مجيئهم المدينة ناقمين على عثمان ، وردّهم عنه فانصرفوا راجعين ورجع عليٌّ عليه السلام إلى عثمان وأخبره أنّهم قد رجعوا ، حتّى إذا كان الغد جاء مروان عثمان فقال له : تكلّم وأعلم النّاس أنَّ أهل مصر قد رجعوا ، وانَّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً ، فإنَّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخرج ، فلم يزل به مروان حتّى خرج فجلس على المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال : أما بعد : إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم [٢] فناداه عمرو بن العاصي من ناحية المسجد : إتّق الله يا عثمان ! فإنَّك قد ركبت نهابير [٣] وركبناها معك فتب إلى الله نتب ، فناداه عثمان : وإنَّك هناك يابن النابغة ؟ قملت والله جبّتك منذ تركتك من العمل ، فنودي من ناحية أُخرى : تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ النّاس عنك . فرفع عثمان يديه مدّاً واستقبل القبلة فقال : اللهمَّ إنّي أوّل تائب تاب إليك . ورجع إلى منزله ، وخرج عمرو بن العاصي حتّى نزل منزله بفلسطين فكان يقول : والله إن كنت لألقى

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٨ ، ٢٠٣ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٧٤ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٢ ، الإستيعاب ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٣ ، وأوعز اليه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٧٠ بصورة مصغرة جرياً على عادته فيما لا يروقه .

(٢) ما عذر الخليفة في هذا الكذب الفاحش على منبر النبي الأعظم وهو بين يدي قبره الشريف لعله يعتذر بأن مروان حثه عليه ولم يكن له منتدح من قبول أمره ، والملك عقيم .

(٣) النهابير والنهابر : المهالك : الواحدة : نهبرة ونهبور .

الراعي فأُحرِّضه عليه . وفي لفظ البلاذري : يابن النابغة ! وإنَّك ممَّن تؤلِّب عليَّ الطغام ؟ وفي لفظ : قال عمرو : يا عثمان ! إنَّك قد ركبت بهذه الأُمَّة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل . وفي لفظ : ركبت بهذه الأُمَّة نهابير من الأُمور فركبوها منك ، ومِلت بهم فمالوا بك ، اعدل أو اعتزل .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٠ ، ١١٤ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٤ ، الإستيعاب ترجمة عثمان ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٨ ، الفائق للزمخشري ج ٢ ص ٢٩٦ ، نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٥ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٦ ، لسان العرب ج ٧ ص ٩٨ ، تاج العروس ج ٣ ص ٥٩٢ .

٣ ـ قال ابن قتيبة : ذكروا أنَّ رجلاً من همدان يقال له «برد» قدم على معاوية فسمع عمروا يقع في عليّ فقال له : يا عمرو ! إنَّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه . فحقٌّ ذلك أم باطلٌ ؟ فقال عمرو : حقٌّ وأنا أزيدك أنّه ليس أحدٌ من صحابة رسول الله له مناقبُ مثل مناقب عليّ . ففزع الفتى فقال عمرو : إنَّه أفسدها بأمره في عثمان فقال برد : هل أمر أو قتل ؟ قال : لا ، ولكنه آوى ومنع ، قال : فهل بايعه الناس عليها ؟ قال : نعم . قال : فما أخرجك من بيعته ؟ قال : إتِّهامي إيّاه في عثمان . قال له : وأنت أيضاً قد اتّهمت . قال : صدقت فيها ، خرجت إلى فلسطين . فرجع الفتى إلى قومه فقال : إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجَّة عليهم من أفواههم ، عليٌّ على الحقِّ فاتَّبعوه .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٣]

٤ ـ أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤ من طريق الواقدي قال : لَمّا بلغ عمروا قتل عثمان رضي الله عنه قال : أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع ، من يلي هذا الأمر من بعده ؟ إن يَلِه طلحة فهو فتى العرب سيباً ، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلاّ سيستنظف الحقَّ ، وهو أكره من يليه إليَّ .

٥ ـ أسلفنا في حديث طويل في الجزء الثاني ص ١٥٨ ـ ١٦١ من قول الإمام الحسن السبط الزكي لعمرو بن العاصي : وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت